مقدمة في

المِلَلِ والنِّحَلِ

أ. د. ناصر بن عبد الله القفاري



مدار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

مدار الوطن للنشر ـ الرياض

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ ـ ص ب: ٣٣١٠
فرع السويدي: هاتف: ٤٢٦٧١٧٧ ـ فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧
المنطقة الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
منطقة الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
المنطقة الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧
التوزيع الخيري: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ ـ ٢٨٢١٤٥٢
التسويق والمعارض الخارجية: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤

- البريد الإلكتروني: pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الإنترنت: www.madar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد:

فهذه "مقدمة"، أو "مدخل" لمادة الملل والنحل، تعرف بمفهومها، وتكشف عن الأصل في مشروعيتها، وتبين وجوه أهميتها، أو أهداف دراستها، وتفصح عن مناهج الأئمة في ترتيبها، ثم تعرض لمواردها المهمة لدى الفرق الإسلامية والمنتسبة للإسلام على اختلاف توجهاتها، وهي دراسة أملتها حاجة قائمة للتعرف على هذه "المعاني" قبل التعرض للمقالات والملل، ولعل فيها إضافة للمكتبة الإسلامية؛ إذ لم أجد من خصها مجتمعة بتأليف، وكذا التأصيل الشرعي لدراسة الملل، والكشف عن مناهج الأئمة وعرض الموارد لدى عموم الفرق.. وهي في الأصل "دروس علمية" ألقيت على بعض طلاب العلم تمثل" تمهيدًا "لدراسة الملل والنحل"، ولذا سيتلوها – بعون الله سبحانه وتيسيره – الدروس المتعلقة بالملل والنحل نفسها؛ إذ لا تزال المكتبة الإسلامية فقيرة بالنسبة لمصادر الملل والنحل التي تتناول مواد هذا التخصص

وفق منهج سني خاص[1].. ولا يعني هذا أن أئمة السنة لم يساهموا في هذا الميدان، بل قد كان لهم السبق في الطرح العلمي المتميز والحكم الشرعي المؤصل ولهم في ذلك مصنفات مستقلة، ومنها ما هو مادة شائعة في كتب التفسير والحديث وغيرها تنتظر من يجمعها ويؤلف ذات بينها.

ألا ترى أن أقدم من تكلم في الحكم على الفرق من الأئمة هما: عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط، وهما من أئمة أهل السنة.

وللإمام الخلال المتوفى سنة ٣١١هـ كتاب أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل[2]، ولدى كاتب هذه "النبذة" مشروع علمي بدأ وضع خطته منذ زمن، يقوم على جمع المادة العلمية حول الفرق فيما كتبه بعض الأئمة المعتبرين؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، والذي هو في زمنه أعلم الناس في الفرق، وذلك لمواجهة الحاجة الملحة والفراغ القائم في المكتبة الإسلامية بالنسبة لهذا التخصص.

وقد خرج حديثًا بعض المصنفات في الفرق وفق المنهج السلفي[3]، إلا أنها ليست لأئمة مشهورين، ولا ترقى إلى التحقيق العلمي العالي، ومستوى الدارسات المعروفة لدى أئمة السنة الكبار.

---

(١) أعني المفهوم الخاص لأهل السنة فإن من المعلوم لدى المحققين من أهل العلم أن السنة تطلق بإطلاقين: إطلاق عام، وإطلاق خاص.

ينظر بيان ذلك: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٦٣).

(٢) نشرته دار الكتب العلمية بتحقيق سيد حسن.

(٣) مثل كتاب "عقائد الثلاث والسبعين فرقة" لأبي محمد اليمني، من علماء القرن السادس الهجري، ولذلك قال محققه في مقدمته بأن المؤلف "سلفي العقيدة". انظر: المصدر السابق ص(٢٥).

معنى الملل والنحل

التعريف:

أ- المعنى اللغوي:

الملل والنحل: مفردهما: ملة ونحلة.

والمِلّة بكسر الميم: السنة والطريقة، وفي التنزيل العزيز ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ . قال أبو إسحاق: ملتهم في اللغة: سنتهم وطريقهم.

وتملل وامتل دخل في الملة، والملة الشريعة والدين[1].

والنحلة بالكسر الدعوى، يقال: انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان إذا ادّعى أنه قائله.. وفلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إليه، ويقال: ما نِحْلتك: أي ما دينك[2].

ب- المعنى الاصطلاحي:

الملة هي الدين الذي شرعه الله عزَّ وجلَّ لعباده على لسان أنبيائه[3].

قال أبو يعلى: (الملة يعبر بها عن الدين)[4]. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾

---

(١) اللسان، مادة (ملل) (١١/ ٦٣١).

(٢) اللسان، مادة (نحل) (١١/ ٦٥).

(٣) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص(٤٧١).

(٤) مسائل الإمامة لأبي يعلى ص(٤٣٥٠).

أي دينهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

وقال الشهرستاني: (الدين هو الطاعة)[١].

والنحلة هي المعتقد الذي وضعه البشر، وليس له أصل شرعي بل بُني على مجرد الادعاء والانتحال.

ويقرر الشهرستاني هذا المعنى بقوله: العالم من حيث عقائده وأديانه ينقسم قسمين:

١- **أهل الديانات والملل**: كالمسلمين، واليهود، والنصارى.

٢- **أهل الأهواء والنحل**: كالدهرية، والصابئة، والبراهمة، وعبد الأوثان[٢].

ووجه ذلك في نظره:

إن الإنسان إذا اعتقد عقيدة، أو قال قولا فإما أن يكون فيه مستفيدًا من غيره (يعني مستفيدًا من رسول) أو مستبدًا برأيه.

فالمستفيد من غيره (يعني المتبع للرسل) مسلم مطيع وهم أصحاب الملل والديانات. القائلون بالنبوات.

والمستبد برأيه محدث مبتدع، وهم أصحاب النحل المنكرون للنبوات، مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة[٣].

قلت لكن المراجع للفظ ملة في كتاب الله سبحانه يجد أنها وردت

---

(١) الملل والنحل (١/ ٣٧).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٢ – ١٣).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٣٧ – ٣٨).

بالمعنيين فأطلقت على (المستفيد من غيره)، و(المستبد برأيه).

قال سبحانه حكاية عن نبيه يوسف – عليه السلام –: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [يوسف: ٣٧ – ٣٨]. فأطلق "الملة" على المعنيين.

ومن استخدام "ملة" بمعنى الدين الحق قوله سبحانه: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨].

ومن استعمالها بمعنى الدين الباطل قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣].

فتخصيص "ملة" بأهل الديانات السماوية اصطلاح خاص بالشهرستاني، ولا مشاحة في الاصطلاح، ولكن المشهور لدى الأئمة – كالإمام أحمد وغيره – استعمال لفظ ملة بالمعنى العام، أي على الديانات السماوية وعلى النحل البشرية.

هذا وقد قال الراغب: "بأن الملة لا تكاد تضاف إلا إلى الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨](١).

قلت: قد جاء إضافة الملة إلى غير الأنبياء في القرآن كما في قوله سبحانه: ﴿..حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ... ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧].

---

(١) المفردات ص(٤٧١).

أما سبب تسمية الدين ملة - في نظر بعض أهل العلم - فهو لأن الملك يمليه على الرسول ﷺ وهو يمليه علينا[1]. فهو يلحظ في اللفظ معنى الإملاء وفي القرآن ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وتقول أمللت الكتاب بمعنى أمليته، وأرجعه بعضهم إلى معنى الجمع.

قال الجرجاني: "أما الشريعة من حيث تطاع تسمى دينًا، ومن حيث تجمع الناس تسمى ملة"[2].

هذا وينبه صاحب المنار إلى أن لفظ الملة يُراد به أصل الدين وجوهره دون ما يتبع ذلك من الشرائع وتفاصيل الأحكام، ومنه قول العلماء: الكفر ملة واحدة، مع الجزم بأن شرائع الكفار مختلفة ومتعددة[3].

أما النحلة فهي مختصة بما ذكره الشهرستاني، فهي اسم لما ابتدعه البشر من عقائد وأديان، ويشهد لهذا: المعنى اللغوي للنحلة كما سبق، لكن لم يرد لفظ النحلة في القرآن بهذا المعنى، أمّا قوله سبحانه: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، فهي بمعنى عطية[4]، وهذا المعنى ورد في السنة أعني بمعنى العطية[5]، ولكن جاء المعنى الاصطلاحي للنحلة في السنة من قول أبي قلابة: "إن أهل الأهواء وأهل الضلال ولا أرى مصيرهم إلا النار فجربهم فليس

---

(١) البيجوري: تحفة المريد ص(١٢).

(٢) التعريفات للجرجاني ص(١٤١ - ١٤٢)، المعجم الفلسفي ص(٨٦).

(٣) تفسير المنار (٦/ ٤١٨).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٤١).

(٥) انظر: الأحاديث في ذلك في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مادة (نحل) (٦/ ٣٧٨).

أحد منهم ينتحل قولاً، أو قال حديثًا فيتناهى به الأمر دون السيف"[١]

قلت: وبالتأمل فيما جاء في كتب اللسان وأقوال أهل العلم في معنى الملة والنحلة يمكن أن يقال بأن الملة إذا دخلت عليها أل [الاستغراقية] فهي مخصصة بالدين الذي شرعه الله وأنزله على أنبيائه ومن هنا قال الراغب فإن الملة لا تكاد يضاف إلا إلى الأنبياء والمرسلين.

وإن تجردت من أل فهي بحسب ما تضاف إليه فقد تطلق على الدين المنزل وقد تطلق بمعنى النحلة.

ويراد بالنحلة: الأهواء والدعاوى التي اخترعها البشر وجعلوها لهم دينًا وليس لها أصل سماوي.

* * *

(١) سنن الدارمي: المقدمة ص(٤٥).

الأصل في مشروعية دراسة الملل والنحل

الأصل في ذلك: الكتاب والسنة.

فقد أخذ عرض الأديان من كتاب الله سبحانه آيات عدة[١].

فقد ذكر الله سبحانه اليهود بل صرح بمعتقداتهم الشنيعة ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤]، و﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١]... إلخ.

كما ذكر النصارى والمشركين والصابئة والدهرية وبين كفرهم وما هم عليه من ضلال. وقد صنفت مصنفات عن الفرق من خلال القرآن[٢].

والسنة جاءت بمثل ذلك. وقد كتب بعض الباحثين رسالة علمية في مجلدين عن اليهود من خلال السنة[٣]، والمكتبة الإسلامية بحاجة إلى كتب تستقي مادتها من هذه الموارد الصافية..

وكان بعض صحابة رسول الله ﷺ قد خص الشر وأهله بأسئلته.

قال حذيفة: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"[٤].

---

(١) انظر: تفصيل آيات القرآن الكريم.

(٢) مثل: الأديان في القرآن، واليهود في القرآن...إلخ.

(٣) وهو د. عبد الله الشقاري.

(٤) جزء من حديث رواه البخاري (٨/ ٨٦)، ومسلم (٢/ ١٤٧٥).

وقد أخبره الرسول ﷺ بمعالم الفتن ومراحلها[١]، ولذلك كان ﷺ يقول: "**والله إني لأعلم الناس بكل فتنة**"[٢].

ولا ريب أن كشف النحل الباطلة والأهواء المضلة والمذاهب الفاسدة هو تبيين لسبيل المجرمين، وإذا سلك مؤلفه المنهج الشرعي في بيانه فهو من تحقيق قوله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

قال القرطبي: "وإذا بان سبيل المجرمين، فقد بان سبيل المؤمنين"[٣]، فبضدها تتميز الأشياء، وقد لا يعرف قدر الحق وعظمته من لم يعرف ضآلة الباطل وخسته، ولذلك أُثر عن عمر "إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

* * *

(١) انظر ذلك في البخاري ومسلم من الموضعين السابقين.

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٢١٦).

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٤٣٧).

أهمية دراسة الملل والنحل والفرق

لأهميتها وجوه كثيرة، لعل من أبرزها ما يلي:

أولاً: نتعرف عليهم لنسلم مما وقعوا فيه، وقد أمرنا أن نسأل الله الهداية للصراط المستقيم والسلامة من طريق المغضوب عليهم (وهم اليهود) والضالين (وهم النصارى)(١)، وكذا من سلك مسلكهم وتشبه بهم من أهل البدع من هذه الأمة. فإن من فسد من عبادنا فقد شابه الضالين النصارى، ومن فسد من علمائنا فقد شابه اليهود المغضوب عليهم، كما ذكر ذلك طائفة من السلف(٢). ولذلك كان في الفاتحة "الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل، والرد على أهل البدع والضلال"(٣).

وقد بين وجه ذلك الإمام ابن القيم على سبيل الإجمال والتفصيل(٤).

ويمكن أن يستدل لهذا الوجه بقول حذيفة: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"(٥). قال الاسفراييني: وإنما كان يفعله لتصح له مجانبته؛ لأن من لم يعرف الشر يوشك

---

(١) ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون". [شرح الطحاوية ص(٦٢٧)]، وانظر: الروايات في ذلك في تفسير الطبري (١/ ١٨٥)، وما بعدها، وانظر تخريج أحمد شاكر لها في الموضع نفسه، والترمذي (٢٩٥٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٧٨ - ٣٧٩)، قال ابن أبي حاتم: "لا أعلم فيه خلافًا للمفسرين" [روح المعاني (١/ ٩٦)].

(٢) شرح الطحاوية ص(٦٢٧ - ٦٢٨).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٨٥)، التفسير القيم لابن القيم ص(٤٩).

(٤) ينظر: المصدرين السابقين في المشار إليهما وما بعدها.

(٥) سبق تخريجه.

أن يقع فيه[1].

هذا وقد أثر عن عمر ﷺ أنه قال: "إنما ينقض الإسلام عروة عروة، من عرف الإسلام ولم يعرف الجاهلية"؛ لأن معرفة الشر سبب للحذر منه، كما أن معرفة أسباب المرض وسيلة للوقاية منه.

وقد قيل:

عـــرفـــت الشـــر لا للشـــر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه[2]

ثانيًا: نتعرف عليهم لدعوتهم إلى دين الإسلام، وإنقاذهم من مهاوي الضلال ودركات الضنك والشقاء ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وأنت إذا عرفت معتقداتهم أمكنك – مع ما معك من نور الحق – بيان فسادها لهم وتعريفهم بمخالفتها للعقول ومجافاتها للفطر وبيان الحق لهم، ودعوتهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فالحق ثابت والباطل زهوق، والحق أبلج، والباطل لجلج، ولا يثبت الظلام أمام النور، وإذا عرض الحق بأدلته الظاهرة فلا يخفى صحته على أحد وإذا أزيل اللبس عن الباطل فلا يخفى بطلانه على أحد؛ ولذلك كان من أخطر أبواب التضليل التلبيس والكتمان وهما في الأصل بضاعة يهودية قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ

(١) التبصير في الدين للاسفرائيني ص(١٤).

(٢) انظر: المصدر السابق ص(....).

وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٤٢] ومن أظهر علامات الباطل الاختلاف والتناقض قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ولذلك فإن رؤساءهم يأمرونهم بالتسليم الأعمى للمعتقدات المخالفة للعقل: "أغلق عقلك واعتقد".

جاء في كتاب يهودي اسمه (كرافت) مطبوع في سنة ١٩٥٠: ".... إذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله". لأن أقوالهم هي قول الله الحي(١).

وجاء في نصوص الروافض الذين ساروا في طريق يهود :"إذا قال لك الإمام إن الليل نهار أو النهار ليل فلا تكذبه"(٢).

"إن حديثنا تشمئز منه القلوب فمن عرف فزيدوهم، ومن أنكر فذروهم"(٣). وقد عقد شيخهم الكليني في الكافي بابًا بعنوان "باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب"(٤)، ومثله فعل صاحب البحار(٥).

ولو تفرغ باحث لجمع المعتقدات الممتنعة في بدائه العقول مما افتراه نصارى ويهود وغيرهم ومن سار على طريقهم الخرافة ورأى اتساع ضخامة الأسطورة والذي لا يدركه كثير من الأرتباح لأن التخرب والتعصب للمعتقدات يلغي

---

(١) الكنز المرصود ص(٥٢).

(٢) انظر: البحار (٢/ ٢١١ – ٢١٢).

(٣) البحار (٢/ ١٩٢).

(٤) أصول الكافي (١/ ٤٠١ – ٤٠٢)..

(٥) انظر: بحار الأنوار، باب أن حديثهم عليهم السلام صعب مستصعب.. (وقد ذكر فيه ١١٦ – حديثًا من أحاديثهم (٢/ ١٨٢ – ٢١٢).

وظيفة العقل ويشل حركة التفكير.

أما في دين الله عزَّ وجلَّ الذي جاء به أنبياء الله ورسله فلا يمكن أن يخالف النقل الصحيح عنهم العقل الصريح، فهو الدين الموافق للمعقول المتفق مع الفطر والمسعد لجميع البشر الذي يصلح الله عزَّ وجلَّ به العباد والبلاد ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

إذن معرفة هذه المعتقدات طريق لدعوة أتباعها إلى الحق والدعوة إلى الله واجبة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويمكن أن يستدل على ذلك بقول رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن **"إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب.. إلخ"** فأخبره بمعتقداتهم ودينهم ليسلك السبيل المناسب في دعوتهم والتدرج الحكيم في بيان الحق لهم، كذلك لا سبيل للحكم على معتقداتهم إلا بمعرفتهم لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

إذن دراسة الملل والنحل لفئة من هذه الأمة لازمة لتوقف تحقيق ذلك الواجب الدعوي العظيم على معرفتها، فلابد من تفرغ دعاة متخصصين لكل طائفة ينتشر مذهبها ويعم ضلالها لدراسة مذهبهم وتعرية باطلهم وإبلاغ الحق لهم بالوسائل المختلفة المشروعة.

ثالثًا: ومعرفتهم وسيلة لاتقاء شرهم وكشف خططهم وفضح مؤامراتهم، ودرء فتنتهم عن المسلمين ولا سيما أن من مبادئ وطقوس طوائف عديدة منهم: التقرب لمعبوداتهم بأذى المخالفين وبالأخص المسلمين.

بل ذهب بعض الباحثين الأوربيين أن طائفة واحدة من هذه الطوائف وراء معظم الحروب والفتن التي تجري في حياة البشر، بل يبالغ فيقول إنهم

وراء كل جريمة، ويحكم بذلك بعد دراسة استمرت قرابة أربعين سنة، يقول: "إذا كان ما سأكشف عنه الستار فيما يلي سيثير دهشة واستغراب من سيقرأ هذه الأسطر فإني لأرجو من القارئ ألا يشعر بمركب النقص حين أعلن له بصراحة أنني شرعت في العمل منذ عام ١٩١١م مستهدفًا الوصول إلى كنه السر الخفي الذي يمنع الجنس البشري من أن يعيش بسلام وينعم راغدًا بالخبرات الوثيرة التي منحها الله لنا؟

ولم أستطع النفاذ إلى قلب هذا السر أخيرًا حتى عام ١٩٥٠م فعرفت أن الحروب والثورات التي تعصف بحياتنا والفوضى التي تسيطر على عالمنا ليست جميعًا – دونما أي سبب آخر – سوى نتائج مؤامرة شيطانية مستمرة"، يقوم بها أبالسة اليهود وشياطينهم، ولذا يحكم بأن اليهود وراء كل جريمة(١).

ونرى الرافضة التي سارت في طريق يهود تدعو صراحة في كتبها

---

(١) وليام غاري كار: أحجار على رقعة الشطرنج ص(٧). هذا ولا يوافقه بعض الباحثين على هذا كالأستاذ محمد قطب الذي يذهب في كتابه مذاهب فكرية معاصرة، إلى أن اليهود ليسوا وراء كل جريمة، بل هم يستغلون الأحداث ويوظفونها لصالحهم، ويبدو أن هذا الرأي من الأستاذ محمد ردة فعل لرأي كار، وإلا فكيف ينفي دورهم في صنع بعض الأحداث والتاريخ والواقع يشهدان بذلك وكتاب الله سبحانه قبل ذلك كله يؤكد هذه الحقيقة وأنهم يوقدون أتون الحروب والفتن والمؤامرات، ولذلك أقول: إن اليهود قد ينشئون الأحداث ويستغلونها لتحقيق أهدافهم كما أنهم قد ينشئونها ولا ينجحون في تحقيق مآربهم منها ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ كما أنهم قد يستفيدون من أحداث صنعها آخرون، ويشهد لذلك كله مبادئ تلمودهم وبرتكولات شياطينهم، والتاريخ والواقع.

المقدسة إلى قتل المسلمين وسلب أموالهم وانتهاك أعراضهم يقولون: "مال الناصب[١] وكل شيء يملكه حلال"[٢].

وقالوا: "الناصب حلال الدم ولكن اتقى عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل"[٣].

هذا وثمة آفاق كبرى وثمرات أخرى لدراسة هذه المادة من معرفة قدر النعمة المسداة والمنحة المهداة من رب الأرض والسماوات، وإدراك عظمة هذا الدين ومحاسنه؛ إذ بضدها تتميز الأشياء إلى الرد على شبهاتهم والجواب الصحيح على تبديلهم[٤]، وإظهار الحق لهم[٥]، وبذل الجهود لإفحامهم[٦]، وإقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيَ من حيَّ عن بينة. والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) يطلق الناصب عندهم على أهل السنة والزيدية المعتدلين، فقد جاء في نصوصهم: "إن الناصبي من يقدم أبا بكر على علي". انظر: السرائر لابن إدريس ص(٤٧١) وسائل الشيعة للعاملي (٦/ ٣٤١ – ٣٤٢)، بشارة المصطفى لشيخهم الطبري ص(٥١)، المحاسن النفسانية ص(١٣٨).

وجاء أيضًا: "إن الزيدية (وهم شيعة معتدلون بالنسبة للرافضة باستثناء طائفة منهم هي **الجارودية**) هم النصاب". رجال الكشي ص(٢٢٨ – ٢٢٩).

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ٤٨)، وسائل الشيعة للعاملي (١١/ ٦٠).

(٣) علل الشرائع ص(٢٠٠)، وسائل الشيعة (١٨/ ٤٦٣)، بحار الأنوار (٢٧/ ٢٣١).

(٤) إشارة إلى كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية.

(٥) إشارة إلى كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي.

(٦) إشارة إلى كتاب "بذل المجهود في إفحام اليهود للسمو أل (كان يهوديًا فأسلم).

أول ملة ظهـرت

كان الناس على الملة الكبرى ملة التوحيد "**فكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام**"(١)، ثم حدثت أخطر نحلة وهي "الشرك بالله عزَّ وجلَّ في قوم نوح عليه السلام وذلك بسعي وكيد من الشيطان، حيث استغل رحيل مجموعة من خيارهم، وهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، فجاءهم بثوب الناصح الأمين والمرشد الحكيم واقترح عليهم أن ينصبوا في أماكن عباداتهم تماثيل لهؤلاء الأخيار، حتى يتذكروا ما هم عليه من عبادة وخير فينشطوا في اتباعهم واقتفاء آثارهم فأخذوا بقوله...

وكان بصنيعه هذا يخطط لأجيال مقبلة ومراحل قادمة، وقد صدق فيهم إبليس ظنه فنفذ فيهم كيده ووقع مكره، وذلك حين طال عليهم الأمد ونسي العلم الموروث من مشكاة النبوة حيث جاء إلى الأجيال اللاحقة، وقال لهم إن أوائلكم ما صوروا تلك التصاوير ووضعوا هذه التماثيل إلا بقصد عبادتها فأنتم عن طريقهم ضالون، فاستمعوا إليه وعبدوا هذه الأصنام من دون الله سبحانه، وتغلغلت هذه "النحلة" في نفوسهم إلى درجة أن نبي الله نوحًا عليه السلام لبث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فجعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوه واستغشوا ثيابهم فغطوا بها وجوههم لئلا يروه وأصروا

---

(١) انظر: تفسير قوله سبحانه ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [البقرة: ٢١٣] في كتب التفسير، وانظر: منهاج السنة (٥/ ٢٥٧).

على كفرهم واستكبروا عن قبول الحق الذي جاء به استكبارًا حتى قال فيما حكاه الله عنه مشيرًا إلى يأسه منهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥ – ٩]، ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢١ – ٢٤].

قال ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين، من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت"[١].

إذن كانت البشرية على ملة التوحيد، ثم طرأت نحلة الشرك بالله سبحانه، وكان ذلك في قوم نوح.

ويقال إن هذه الأصنام انتقلت بعينها إلى العرب بواسطة "عمرو بن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ردا ولا سواع ولا يغوث ويعوق، البخاري مع الفتح (٨/ ٦٦٧)، ح(٤٩٢٠).

وانظر في المسألة: كتب التفسير، والقرطبي، وابن كثير... في تفسير الآية الثالثة والعشرين من سورة نوح.

وابن حجر في الفتح: الموضع السابق، وكتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد، باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ص(٣٠٥).

لحي الخزاعي"، الذي هو أول من غير دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد أخبر النبي ﷺ **"بأنه رآه يجر قصبه في النار"**(١). لما أورثه في الأمة من كفر وضلال.

ثم إن الله أنقذ الأمة ببعثة محمد ﷺ، وعصمها من الضلال الشامل بكتاب ربها وسنة نبيها، فأخبر عليه الصلاة والسلام بأنه ترك فينا أمرين لن نضل ما تمسكنا بهما، وهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ **"تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله، وسنتي"**(٢).

وأخبر أن هذه الأمة لن تضل جميعًا، وإن وجد الضلال في فرق وطوائف منها، لكن **"لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة"**(٣).

إذن الأصل في حياة البشر هو ما تقتضيه فطرتها وجاءت بتقريره رسل ربها وهو التوحيد.

ومن هنا يتجلى تهافت ما قاله بعض الباحثين من أن البشرية مرت بثلاث مراحل أولاها التعدد، ثم مرحلة التفكير والموازنة في اختيار الأصلح من بين الآلهة، ثم مرحلة الوحدانية(٤).

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٦٠).

(٢) رواه مالك في الموطأ مرسلاً، والحاكم من حديث ابن عباس. قال الألباني: وإسناده حسن وله شاهد من حديث جابر خرجته في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٦١).

(٣) انظر: البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٩٣).

(٤) انظر: الديانات والعقائد، عطار (١/ ٦٣).

فجعلوا الشرك هو الأصل والتوحيد طارئ، وتلك دعوى لا سند لها، ويكفي هذا في ردها والدعاوى لا يعجز عنها أحد إذا لم يكن له من وحي الله هادٍ ومِنْ نظره وعقله حاجزٌ ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

لقد جاء القول الفصل في الوحي المنزل بتقرير الحقيقة الكبرى، وهي أن الأصل الوحدانية ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]، ولذلك يقول الحديث القدسي: "**خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين...**"(١).

ويقول الذي لا ينطق عن الهوى: "**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**"(٢)، وفي رواية: "**كل مولود يولد على الملة**"(٣)، وفي رواية: "**على هذه الملة..**"(٤)،(٥).

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٨٦٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٦٢).

(٢) رواه البخاري (٣/ ٩٧)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) الروايتان كلتاهما في مسلم الموضع السابق.

(٤) الروايتان كلتاهما في مسلم الموضع السابق.

(٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في هذا الموضوع، حيث رصد تيار الشرك في تاريخ البشرية في الفتاوى (٢٨/ ٦٠٣) وما بعدها فارجع إليه، ولولا خشية الإطالة لسردته هنا بتمامه، ومما قاله: "الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص، كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر – عليه السلام – حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان... بشبهات زينها الشيطان.. فابتعث الله نبيه نوحًا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.. فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلما أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، دعا عليهم، فأغرق الله أهل الأرض بدعوته، وجاءت الرسل بعده تترى إلى أن عم الأرض دين الصابئة والمشركين لما كانت النماردة والفراعنة ملوك الأرض شرقًا وغربًا فبعث الله تعالى إمام الحنفاء، وأساس الملة الخالصة والكلمة الباقية إبراهيم خليل الرحمن فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص...إلخ".

أول ملة حدثت، وأول فرقة وقعت بعد البعثة النبوية

أول ملة حدثت هي "الشرك" بالله سبحانه والذي تولى كبر هذه الضلالة هم الرافضة، كما ذكر ذلك المحققون من أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الروافض ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانًا، فإن الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد"[1].

وكتبها اليوم تدعو لهذا الكفر البواح، وألفوا في طقوسها الشركية كتبًا سموها "مناسك المشاهد"، وواقعهم في مزاراتهم ومآتمهم ومشاهدهم يعج بهذا المنكر الأكبر والظلم الأعظم[2].

أمَّا أول فرقة وقعت في الأمة فقد كانت في مسألة "الأسماء والأحكام"[3] وأول طائفة ضلت فيها هم الخوارج، قال شيخ الإسلام:

---

(١) انظر: الرد على الأخنائي ص(٤٧).

(٢) انظر: تفصيل ذلك في أصول الشيعة (٢/ ٤٢٥) وما بعدها.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٨٢ - ١٨٣).

"الخوارج.. أول أهل الأهواء خروجًا عن السنة والجماعة"(١).

وقابلهم فيما بعد أهل الإرجاء، وهدى الله سبحانه أهل السنة، فكانوا في ذلك وسطًا بين الخوارج الغلاة والمرجئة الجفاة في هذه المسألة الكبرى من مسائل الاعتقاد.

"وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض"(٢) والذي تولى كبر هذه الضلالة هو هشام بن الحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أول من عرف في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم"(٣)، والتشبيه في الأصل ضلالة يهودية كما يبدو ظاهرًا في توراتهم المحرفة، وتلمودهم الموضوع.

أما هشام بن الحكم فتقول عنه كتب أصحابه بأنه "من غلمان أبي شاكر، وأبو شاكر زنديق"(٤)، ويذكر القاضي عبد الجبار (المعتزلي) أنه مشهور بصحبة بعض المجوس، ويشير إلى علاقته بأبي شاكر(٥).

---

(١) المصدر السابق (٢٨/ ٤٨٩).

(٢) الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص(٩٧).

(٣) منهاج السنة (١/ ٧٢ – ٧٣)، وانظر: للتفصيل أصول مذهب الشيعة (٢/ ٥٢٨).

(٤) رجال الكشي ص(٢٧٨).

(٥) يقول "هشام.. ليس من أهل القبلة، وهو معروف بعداوة الأنبياء وقد أخذ مع أبي شاكر الديصائي صاحب الديصانية (وهي من فرق المجوس) [انظر: الملل والنحل ١/ ٢٠٥] وكان معروفًا به وبصحبته...".

عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة (١/ ٢٢٥).

أما فرق المعطلة فإنه بدأ أمرها من الجعد بن درهم(١) فهو أول القائلين بمقالة التعطيل، ويشير أهل العلم إلى أنه تلقف هذه الضلالة عن اليهود(٢) والصابئة(٣).

* * *

(١) قال الذهبي: "الجعد بن درهم عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة" . ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٩).

(٢) حيث أخذ القول بخلق القرآن عن أبان بن سمعان، وأخذه هذا عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، وكان يقول بخلق التوراة، وكان طالوت زنديقًا، وهو أول من صنف لهم في ذلك ثم أظهره الجعد بن درهم.

انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٢٠ – ٢١)، الكامل لابن الأثير (٥/ ٢٩٤)، سرح العيون لابن نباته ص(٢٩٣)، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٢٣).

(٣) كان الجعد من أهل حران، وكان فيهم من بقايا الصابئين والفلاسفة خصوم إبراهيم عليه السلام، فلهذا أنكر تكليم موسى، وخلة إبراهيم موافقة لفرعون والنمرود...

انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٧/ ١٧٥ – ١٧٦).

وانظر في رصد وترتيب نشأة الفرق: ابن تيمية، الفتاوى (٢٨/ ٤٨٩) وما بعدها، منهاج السنة (١/ ٣٠٦) وما بعدها (٦/ ٢٣٠) وما بعدها، وانظر لابن القيم: الصواعق المرسلة (١/ ١٤٧ – ١٥١)، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦٩)، تهذيب السنن (٧/ ٦١ – ٦٢)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٦)، وبكر أبو زيد: الرد على المخالفين ص(٣١ – ٣٨).

حصر ملل الكفر

هل ملل الكفر محصورة؟

في هذه المسألة قولان لأهل العلم.

القول الأول: أنها غير محصورة، بل هي ملل مختلفة.

قال ابن قدامة: لم يسمع عن أحمد تصريح بذكر أقسام الملل، بل يحتمل كلام الإمام أن الكفر ملل كثيرة لا حصر لها، فتكون المجوسية ملة، وعبادة الأوثان ملة، وعباد الشمس ملة، فلا يرث بعضهم بعضًا.

روى ذلك عن علي، وبه قال الزهري، وربيعة، وبعض فقهاء المدينة، وأهل البصرة، وإسحاق.

قال ابن قدامة: وهو أصح الأقوال إن شاء الله تعالى؛ لقول النبي ﷺ: **"لا يتوارث أهل ملتين شتى"**(١).

لأن كل فريقين منهم لا موالاة بينهم ولا اتفاق في دين فلم يرث بعضهم بعضًا كالمسلمين والكفار، ولأنه روي عن علي ولم يعرف له مخالف من الصحابة فيكون إجماعًا(٢).

القول الثاني: أن ملل الكفر محصورة بثلاثة أقسام.

---

(١) وهو في سنن الدارمي من قول عمر رضي الله عنه (١/ ٧٦٦).

(٢) انظر: المغني (٩/ ١٥٦ - ١٥٧)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/ ٤٤٦).

جاء عن القاضي أبي يعلى حصر ملل الناس في ثلاث، حيث قال: الكفر ثلاث ملل:

١- اليهودية.

٢- النصرانية.

٣- دين من عداهم. لأن من عداهم يجمعهم أنهم لا كتاب لهم.

وهذا قول شريح وعطاء، وعمر بن عبد العزيز، والضحاك، والحكم، والثوري، والليث، وشريك، ومغيرة الضبي وابن أبي ليلى وغيرهم.

هذا، والمسألة مبسوطة في كتب الفقه، وتتبين ثمرة الخلاف في مسألة التوارث، فإذا اعتبر من عدا اليهود والنصارى من الكفرة ملة واحدة فيرث بعضهم بعضًا، وإذا اعتبروا مللاً عباد البقر ملة، وعباد الشمس ملة، فلا توارث بين أهل ملتين[1].

حصر الفرق بثلاث وسبعين فرقة :

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: **"افترقت اليهود على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة"**

وفي لفظ: **"على ثلاث وسبعين ملة"**.

وفي رواية قالوا: يا رسول الله! من الفرقة الناجية؟ قال: **"من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"**.

---

(١) انظر: المغنى لابن قدامة (٩/ ١٥٤ – ١٥٨).

وفي رواية قال: "هي الجماعة، يد الله مع الجماعة"[١].

وقد طعن بعض أهل العلم في صحة أحاديث "افتراق الأمة" كابن حزم[٢]، ولكن أكثر أهل العلم يقول بأن منها ما هو صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة حديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد"[٣].

ومما ينبغي أن يعلم بأن هذه الأحاديث في افتراق الأمة جاءت على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول:

ما لا نص فيه على الهالك، أي الاقتصار على ذكر افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وهذه أخرجها أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

الوجه الثاني:

ما فيه بيان أن واحدة منها ناجية، والباقين هلكى "كلها في النار إلا واحدة". وهذه لم يخرجها من أصحاب السنن إلا أبو داود، وقد أخرجها أحمد والدارمي، والحاكم.

الوجه الثالث:

ما فيه القول أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها ناجية

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٣/ ٣٤٥)، وقد بسطت تخريجه في مسألة التقريب (١/ ٣٦) هامش (١).

(٢) انظر: الفصل (٤/ ١٦).

(٣) الفتاوى (٣/ ٣٤٥).

إلا الزنادقة، وروايات هذا الوجه موضوعة لا تصح(١).

ويذهب بعض أهل العلم إلى حصر الفرق بثلاث وسبعين فرقة، ويذهب آخرون إلى أن العدد لا مفهوم له أو يُراد به التكثير كقوله سبحانه: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢]، أو أن المقصود أصول الفرق.

ومن المؤلفين في المقالات والفرق من اعتمد هذا العدد في الحديث وحاول أن يحصر الفرق بثلاث وسبعين، وغاب عنه أن الحياة ممتدة إلى قيام الساعة، والافتراق في البشر مستمر، ولن يتوقف ظهور الفرق بعد عصره.

ولا ريب أن ظاهر الحديث يدل على الحصر حيث ذكر عدد فرق اليهود والنصارى وفرق هذه الأمة بالأرقام فلو لم يكن العدد مقصودًا لم يكن لهذا التفريق الدقيق وجه. لكن تعيين وتحديد أن هذه الفرقة أو تلك من الثلاث والسبعين يحتاج إلى دليل.

ولعل أقدم من قال بحصر الفرق بهذا العدد ويقول بتعيينها إمامان:

الأول: يوسف بن أسباط(٢). حيث أثر عنه أنه قال: أصل البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تتشعب كل فرقة ثمان عشرة طائفة فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون الجماعة التي قال رسول

---

(١) انظر: كشف الخفاء (١/ ٣٦٩)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص(١٦١).

(٢) يوسف بن أسباط الشيباني الزاهد الواعظ، كان من خيار أهل زمانه، قال البخاري: كان قد دفن كتبه، فكان لا يجيء بحديثه كما ينبغي. (انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٦٢).

الله ﷺ إنها الناجية[١].

والثاني: عبد الله بن المبارك[٢]. الذي روي عنه أنه قال: إن الأمة افترقت في الأصل إلى أربع فرق: الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة. فافترقت الشيعة على ثنتين وعشرين فرقة، وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة، وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة. فقيل له: لم تذكر الجهمية؟ قال: إنما سألتني عن فرق المسلمين[٣]. قلت: وقد اعتنق متأخروا الشيعة مذهب الجهمية[٤].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن هذين الإمامين هما أقدم من تكلم في تعيين وتضليل الفرق[٥].

وقال أيضًا: "وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لابد له من دليل[٦]، ولا شك أن الميزان هو الكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) الإبانة (١/ ٣٧٦ – ٣٧٧).

(٢) عبد الله بن مبارك المروزي، ثقة ثبت. قال ابن مهدي: الأئمة أربعة، وعده منهم، قال أحمد: لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب منه للعلم.

انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٤)، حلية الأولياء (٨/ ١٦٢).

(٣) الإبانة (١/ ٣٧٩ – ٣٩٠).

(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٥٣٥) وما بعدها.

(٥) انظر: الفتاوى (٣/ ٣٥٠).

(٦) الفتاوى (٣/ ٣٤٦).

وقد يشكل على البعض أن هذه الأمة مع أنها خير الأمم أكثر افتراقًا من اليهود والنصارى.. وأقول:

أولاً: إن الناجين من هذه الأمة هم الأكثر عددًا والأعظم شأنًا، كما جاء ذلك مصرحًا به في أحاديث عرض الأمم على رسول الله ﷺ [1]، ثم هو بين في أحاديث افتراق الأمة وفي النص على الفرقة الناجية[2]، وبهم يحفظ الله الدين.

ثانيًا: بقاؤهم على الحق واستمراره فيهم حيث لا تزال طائفة منهم على الحق إلى أن تقوم الساعة، وهذا من خصائص هذه الأمة التي رسالة نبيها الرسالة الأخيرة والخاتمة الرسالات بخلاف ما سواهم الذين عمهم الضلال.

ثالثًا: إن دين الإسلام عام لكل الناس فهذا الافتراق بالنظر لهذا الكم الهائل المستجيبين للدعوة قليل، في حين أن اليهودية دين خاص ببني إسرائيل، فبلوغ افتراقهم إلى هذا العدد هو أمر كبير.

رابعًا: أن الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ هو باق إلى أن تقوم الساعة بخلاف رسالة موسى أو عيسى، فقد جاءتا لفترة زمنية محدودة وطبيعي أنه كلما تطاول الزمن حدث الاختلاف أكثر.

خامسًا: ليعلم أن هذا الاختلاف غير مخرج عن الملة إذ المراد بالأمة أمة الإجابة، كما قرره أئمة السنة، أمَّا قوله: **"كلها في النار"** يعني مستحقة للدخول في النار دون الخلود وهذا من نصوص الوعيد.

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح (١١/ ٤٠٥ – ٤٠٦)، ومسلم (١/ ١٩٩).
(٢) وفي الواقع أيضًا انظر كلام المقبلي في ذلك في "العلم الشامخ" ص(٥١٢) وما بعدها.

أ - وسطية الإسلام بين الملل:

لقد أكمل الله سبحانه برسالة محمد ﷺ الرسالات، وختم به النبوات، وأنزل عليه القرآن العظيم يهدي للتي هي أقوم، وحفظه سبحانه من التبديل والتغيير.

وعصم الله سبحانه أمة محمد ﷺ أن تجتمع على ضلالة، وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة ولهذا كان إجماعهم حجة، كما كان الكتاب والسنة حجة.

وجعلهم الأمة الوسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدلاً خيارًا، ولذلك جعلهم شهداء على الناس، هداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه، ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم من الشرعة والمنهاج الذي جعله لهم، هذا وتتجلى وسطية أهل الإسلام في أمور كثيرة منها:

أن المسلمين وسط في باب توحيد الله سبحانه (الإلهيات)، فإن اليهود يصفون الله سبحانه بالنقائص ويشبهونه بالمخلوقين، قالوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقالوا: "أنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت" إلى غير ذلك من أقوالهم المنكرة، ومن يراجع تلمودهم (ومن أفضل المراجع عنه بالعربية الكنز المرصود) يرى ما تقشعر منه جلود المؤمنين(١). وكذا من يرجع إلى بعض نصوص

---

(١) انظر: الكنز المرصود ص(٤٧ - ٥٠).

توراتهم المحرفة يرى إلحادهم في الله وصفاته سبحانه من وصفهم الخالق سبحانه بصفات المخلوقين(١).

وبالمقابل النصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به جل وعلا كالربوبية والألوهية فقالوا في بعض البشر وهو نبي الله المسيح عليه السلام أنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب.

أما المسلمون فقد آمنوا بالله سبحانه وتعالى وعبدوه ووحدوه واعتقدوا أنه ليس كمثله شيء سبحانه، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهو رب العالمين، وخالق كل شيء له الخلق والأمر وكل ما سواه عباد له فقراء إليه ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ – ٩٥].

وكذلك في النبوات، فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله، (وكذا عباده الصالحين) لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا الله هو سبحانه عما يشركون.

ولا جفوا وقصروا كما جفت اليهود الذين بلغ بهم الأمر ووصلت بهم الحال إلى قتل الأنبياء والرسل، فكانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقًا وقتلوا فريقًا، وكانوا يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس من

---

(١) انظر: سفر التكوين، الفصل الرابع والعشرون، فقرة (٩، ١٠، ١١، .. إلخ، وانظر: رسالة: نواقض توحيد الأسماء والصفات..

الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ.

وفي نصوص توراتهم المحرفة وتلمودهم كلمات في حق بعض أنبياء الله ورسله تقشعر من سماعها جلود أهل الإيمان(١).

والخلاصة أن اليهود قتلوهم وكذبوهم، والنصارى عبدوهم.

أما المسلمون فكانوا وسطًا في هذا الشأن، حيث لم يجفوا أو يفرطوا كما صنعت يهود، بل آمنوا برسل الله جميعًا ولم يفرقوا بين أحدٍ من رسله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم.

كما لم يغلوا ويفرطوا، كما فعلت النصارى فلم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابًا، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩ – ٨٠].

ومن أمثلة وسطية المسلمين في مسألة النبوات اعتقادهم في المسيح عليه السلام فهم لم يغلو فيه، كما صنعت النصارى حين قالوا: هو الله أو ابن الله، أو

---

(١) انظر: ما يقوله الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين في حق خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وما يقوله السفر الثاني لصموئيل من الأصحاحين: (١١، ١٢) في حق نبي الله داود عليه الصلاة والسلام، وما يقوله الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين في نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام، وما يفتريه الإصحاح الحاديث عشر من سفر الملوك الأول عن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام، وانظر هداية الحياري ص(١٣١ – ١٣٢).

ثالث ثلاثة، على اختلاف معتقدات فرقهم في ذلك، ولا كفروا به وكذبوه وطعنوا فيه، حتى جعلوه ولد بغية وقالوا على أمه مريم بهتانًا عظيمًا كما عملت يهود.

بل قال المسلمون في المسيح هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه.

ومن وسطية أهل الإيمان اعتقادهم في شرائع دين الله سبحانه... فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت، كما قالت يهود، وذكر الله ذلك عنهم بقوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وبقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩١].

ولم يفعلوا كفعل النصارى الذين جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن ينسخوا ما شاؤوا ويغيروا دين الله. فأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم.

لكن المسلمين قالوا لله الخلق والأمر، كما قال سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فكما لا يخلق غيره كذلك لا يأمر غيره فهو الخالق المالك المدبر وحده لا شريك له، فله الحكم والأمر سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١]، لا معقب لحكمه... وقالوا: سمعنا وأطعنا لكل ما أمر به ربنا وخالقنا.

أما المخلوق ولو كان عظيمًا فليس له شيء من ذلك، وليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن

يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وكذلك المسلمون وسط في أمر الحلال والحرام، فإن اليهود كما قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط والأرنب ولا شحم الترب والكليتين، ولا الجدي في لبن أمه(١)، إلى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما.

حتى قيل إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعًا، والواجب عليهم مائتان وثمانية وأربعون أمرًا، وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت.

---

(١) جاء في التوراة المحرفة (لا تنضج الجدي بلبن أمه). [سفر الخروج ٢٣/ ١٩، ٣٤/ ٢٦].

قال ابن القيم: والمراد بذلك أنهم أمروا عقب افتراض الحج إلى بيت المقدس عليهم: أن يستصحبوا معهم إذا حجوا أبقار أغنامهم وأبكار مستغلات أرضهم؛ لأنه كان فرض عليهم قبل ذلك أن تبقى سخولة الغنم والبقر وراء أمها سبعة أيام، وفي اليوم الثامن فصاعدًا يصلح أن تكون قربانًا، فأشار في هذا النص بقوله: لا ينضج الجدي بلبن أمه إلى أنهم لا يبالغون في إطالة مكث باكور أولاد البقر والغنم وراء أمها، بل يستصحبون أبقارهم التي قد عبرت سبعة أيام منذ ميلادهن معهم إذا حجوا إلى بيت المقدس ليتخذوا منها القاربين، فتوهم المشايخ البله أن الشرع يريد بالإنضاج إنضاج الطبخ في القدر وأنهم نهوا أن يطبخ لحم الجدي باللبن.

ولم يكفيهم هذا الغلط في تفسير هذه اللفظة حتى حرموا أكل سائر اللحمان باللبن فألغوا لفظ الجدي وألغوا لفظة أمه وحملوا النص ما لا يحتمله.

(إغاثة اللهفان ٢/ ٧٥٨ – ٧٥٩). وانظر: اليهودية، عرفان عبد الحميد ص(١٣٠).

وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات وإنما قال لهم المسيح ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[1].

بـ - وسطية أهل السنة بين الفرق:

أهل السنة وسط في باب أسماء الله وصفاته بين المعطلة الجفاة الذين يلحدون في أسماء الله ويعطلون حقائق ما وصف الله به نفسه، وهم الجهمية وأمثالهم، وبين الممثلة الغلاة الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات؛ كالهشامية[2]، واليونسية[3]، وأضرابهم من الرافضة.

فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وهم في باب خلقه وأمره (القضاء والقدر)، وسط بين القدرية النفاة المكذبين بقدرة الله، فلا يؤمنون بقدرته الكاملة، ولا يثبتون مشيئته الشاملة، ولا يقرون بخلقه لكل شيء، وبين الجبرية المثبتة الغلاة المفسدين لدين الله، الذين ينكرون قدرة العبد ومشيئته وإرادته وعمله، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٣٧٠ - ٣٧٢).

(٢) الهشامية: أتباع هشام بن الحكم، أول من قال بأن الله جسم، تعالى الله عما يقول علوًا كبيرًا. والهشامية فرقة من الروافض. انظر عنها مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٦).

(٣) أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي، إحدى طوائف الروافض، جمعوا مع ضلالة الرفض ضلالة التشبيه والتجسيم. [انظر: المصدر السابق ١/ ١١٠].

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات.

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل، وأنه مختار، ولا يسمونه مجبورًا؛ إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره، والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره، وهذا ليس له نظير، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وهم في "باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد" وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، وينكرون شفاعة النبي ﷺ، وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء. والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية.

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، ولذلك يقولون في اسم الفاسق مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أما حكمه في الآخرة فهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه بعدله، وإن شاء عفا عنه بفضله وتسقط عقوبة جهنم عن فاعل السيئات بنحو أحد عشر سببًا بمقتضى النصوص[1]، والداخلون من أهل الكبائر النار لا يخلدون فيها، بل يخرج منها من

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص(٣٥٣ – ٣٥٧).

كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي ﷺ ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

وهم أيضًا في "أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم وسط بين الغالية، الذين يغالون في علي ﷺ، فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما، وأن الصحابة ظلموا وفسقوا، وكفروا الأمة بعدهم كذلك، وربما جعلوه نبيًّا أو إلهًا، وهم فرق الرافضة التي تسمى في عصرنا بالشيعة.

وبين الجافية الذين يعتقدون كفره، وكفر عثمان رضي الله عنهما، ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما، ويستحبون سب علي وعثمان، ونحوهما، ويقدحون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته وهم الخوارج.

وكذلك في سائر "أبواب السنة" هم وسط؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان[1].

* * *

(١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٧٣ – ٣٧٥)، وللتوسع في موضوع وسطية أهل السنة ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم (وهي رسالته لنيل درجة الدكتوراه).

موقف المسلم من أهل الملل

أُلِّفت في هذه المسألة مصنفات لعلَّ من أفضلها: أحكام أهل الملل للخلال، وأحكام أهل الذمة لابن القيم،كما كتب بعض المتأخرين والمعاصرين مصنفات في ذلك منها: جلاء الظلمة عن حقوق أهل الذمة لمصطفى الحنفي (لم يطبع)، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام لعبد الكريم زيدان، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية للمودودي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ليوسف القرضاوي، إرشاد أولي الألباب إلى ما صح من معاملة أهل الكتاب: جمال إسماعيل، وغيرها.

وأشير هنا إلى بعض أحكام التعامل معهم:

١- العمل على دعوتهم إلى الله سبحانه بالوسائل المشروعة وإخراجهم من الظلمات إلى النور، **"ولئن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم"**[1].

٢- الحذر من ظلمهم؛ لأن الظلم حرام مطلقًا، فلا يجوز أن يظلم أحد منهم في نفس أو مال أو عرض، فلا يظلم مثلاً في عرضه بغيبة أو نميمة، ولا في ماله بسرقة أو غش أو خيانة، ولا في بدنه بضرب أو قتل؛ لأن كونه معاهدًا أو ذميًا في البلد أو مستأمنًا يعصمه[2].

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤/ ٥)، ومسلم رقم(٢٤٠٧).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات لابن باز (٤/ ٢٦٦).

٣- يجوز التعامل معه في البيع والشراء والتأجير ونحو ذلك، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه اشترى من الكفار عباد الأوثان، واشترى من اليهود، وهذه معاملة وقد توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام لأهله[1].

٤- ولا يجوز بدؤهم بالسلام، ولكن إذا سلم أحدهم يقال له: وعليكم، لقول النبي ﷺ: **"لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام"**[2].

وقال: **"إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم"**[3]. متفق عليه[4].

٥- برهم من غير مودة باطنة كالرفق بضعيفهم[5] وسد خلة فقيرهم، وإطعام

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام (ح ٢١٦٧).

(٣) إنما أمر بالاقتصار على قول الرد (وعليكم) لما جاء في حديث عبد الله بن عمر في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: "إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليك فقل (وعليك). البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام (٧/ ١٣٤)، ومسلم كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٢/ ٣٩) (ح ٢١٦٤).
لكن لو تحقق المسلم أن الذمي قال له "سلام عليكم" فهل له أن يقول: وعليك السلام؟ قال ابن القيم: "الذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل والله يأمر بالعدل والإحسان، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ فندب إلى الفضل، وأوجب العدل، وأما الأمر بالاقتصار وعليكم فبناء على السبب المذكور. انظر: أحكام أهل الذمة (١/ ١٩٩).

(٤) انظر: تخريجه في الهامش السابق.

(٥) انظر مثلاً: الموقف الفذ لشيخ الإسلام ابن تيمية تجاه الأسارى من النصارى في الفتاوى (٢٨/ ٦١٧ – ٦١٨).

جائعهم وإكساء عاريهم).

ومن ذلك حسن الجوار، فإذا كان جارًا لك تحسن إليه ولا تؤذه في جواره، وتتصدق عليه إن كان فقيرًا أو تهدي إليه إن كان غنيًّا، وتنصح له فيما ينفعه وتحتمل أذاه؛ لأن الجار له حق عظيم، وربما يكون هذا من دواعي إسلامه. قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

٦- ليس للمسلم مشاركتهم في احتفالهم أو أعيادهم، لكن لا بأس أن يعزيهم في ميتهم إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك بأن يقول جبر الله مصيبتك، أو أحسن لك الخلف بخير. وأمثال ذلك من الكلام الطيب، ولكن لا تقول غفر الله له، أو رحمه الله، أي لا يدعو للميت الكافر، وإنما يدعو للحي بالهداية وبالعوض الصالح ونحو ذلك[1].

٧- يجوز أكل ذبائح أهل الكتاب ما لم يعلم أنها ذبحت على غير الوجه الشرعي كالخنق لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [المائدة: ٥].

وهذا ما أجمع عليه أهل العلم أن ذبائح أهل الكتاب حلال.

وفي رواية لمسلم من حديث أنس: **"أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها.. الحديث"**[2].

(١) ابن باز، المصدر السابق.

(٢) رواه مسلم (ح ٢١٩٠).

٨ – ويجوز نكاح نسائهم عند جمهور أهل العلم؛ لقوله سبحانه: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة: ٥].

قال ابن قدامة: (ليس بين أهل العلم اختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب"[١]. ولكن ترك نكاحهن والاستغناء عنهن بالمحصنات من المؤمنات أولى وأفضل[٢].

* * *

(١) المغني (٩/ ٥٤٥).

(٢) ابن باز، المصدر السابق، وينظر: الفروق للقرافي (٣/ ١٤ – ١٥)، ابن باز: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/ ٢٦٦) وما بعدها، أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢/ ٤١٩، ٧٢٢، ٦٦٥) وما بعدها، الجلعود: الموالاة والمعاداة (٢/ ٧٢٣) وما بعدها.

من أحكام التعامل
مع أهل البدع والأهواء

أولاً: لابد من العلم بأن "البدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة، كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة"[١].

ثانيًا: أهل البدع لا يكفرون.

قال الإمام النووي: "إن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع"[٢].

وقد فسر جماهير الأئمة أحاديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة بفرق أمة الإسلام (أمة الإجابة) لا أمة الدعوة، ولذلك أخرج بعض الأئمة كابن المبارك الجهمية من فرق الأمة الثلاث والسبعين[٣]، ولذلك لا يدخل في الفرق الثلاث والسبعين الفرق الخارجة عن الإسلام، والتي ظهرت في عصرنا مثل: القاديانية، والبابية، والبهائية، وغيرها.

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى (٣٥/ ٤١٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٥٠).

لابد من التنبيه إلى أن الخلاف الذي يشير إليه النووي هو في تكفير الخوارج، لا في تكفير أهل البدع، فإن أهل السنة مجمعون على عدم تكفير أهل البدع (إلا إذا كانت بدعتهم مكفرة كما سيأتي).

(٣) انظر: الإبانة (١/ ٣٨٠).

أمَّا قوله في الحديث: "**كلها في النار إلا واحدة**"، فهذا من باب الوعيد، واستحقاق الدخول في النار، ولا يقتضي الخلود الأبدي الذي هو خاص بطوائف الكفر.

فإذن أهل البدع لا يكفرون ما لم تكن البدعة مكفرة، فمن جاء ببدعة مكفرة قام الدليل الشرعي على أنها كفر وثبتت شروط التكفير في حقه، وانتفت موانعه كفر وبيان ذلك أن "أهل البدع فيهم المنافق الزنديق، فهذا كافر ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية، فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة"(١)، ومن هذه حاله ممن أظهر كفره منهم وثبتت في حقه شروط التكفير وانتفت موانعه، فهو كافر يعامل معاملة الكافرين، ومن أخفاه فهو منافق يعامل معاملة المنافقين، ومن انتسب إليهم ولم يقل بكفرهم فعليه إثم من كثر سواد البدعة.

لكن "من أهل البدع من يكون فيه إيمان باطن وظاهر، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقًا أو عاصيًا، وقد يكون مخطئًا متأولاً مغفورًا له خطؤه"(٢).

وخلاصة القول أن أهل السنة كما لا يكفّرون بكل ذنب، فكذلك لا يكفّرون بكل بدعة،ولذلك قال النووي: "واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع"(٣).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٥٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٥٣ - ٣٥٤).

(٣) شرح صحيح مسلم (١/ ١٥٠).

ثالثًا: لابد من بيان حالهم للأمة – عند الحاجة – بدون تقليل أو تهويل فلا يتعدى الصدق، ولا يقلل من الواقع، ولا يفترى عليهم ولا ينسب إليهم ما لم يقولوه، ولا يرموا بها لم يفعلوه، كما لا يجوز أن تنسب إليهم لوازم أقوالهم ومآل مذاهبهم على أنها أقوال ومذاهب لهم، فإن لازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يلتزمه صاحبه.

يقول الإمام القرافي: "أرباب البدع والتصانيف المضلة ينبغي أن يشهر في الناس فسادها وعيبها، وأنهم على غير الصواب، ليحذرها الناس الضعفاء فلا يقعوا فيها، وينفر عن تلك المفاسد ما أمكن، بشرط أن لا يتعدى فيها الصدق، ولا يفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه، بل يقتصر على ما فيهم من المنفرات خاصة، فلا يقال على المبتدع أنه يشرب الخمر ولا أنه يزني ولا غير ذلك مما ليس فيه. [الفروق ٤/ ٢٠٧ – ٢٠٨].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين...". [مجموع الفتاوى ٢٨ – ٢١٣ – ٢٣٢].

رابعًا: التفريق بين المقالة والقائل، فقد تكون المقالة كفرًا، أو بدعة أو

فسقًا، والقائل لا يكون كافرًا، أو مبتدعًا، أو فاسقًا، إلا بعد ثبوت شروط ذلك وانتفاء موانعه، ولذلك قال أهل العلم: "إن التحريف والانحراف على مراتب، فقد يكون كفرًا، وقد يكون فسقًا، أو معصية، وقد يكون خطأ"(١).

خامسًا: لابد لرمي الرجل بالابتداع من قيام أصلين:

الأول: قيام الدليل الشرعي المقتضي للتبديع.

الثاني: ثبوت شروط التبديع وانتفاء موانعه.

وهذان الأصلان أساسان مهمان في الحكم بالتبديع، أو التكفير، أو التفسيق.

سادسًا: العمل على بيان الحق لهم بإبلاغهم السنة، وتبصيرهم بالبدعة وتحذيرهم منها بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن ذلك من الجهاد في سبيل الله، وكلما جد أئمة السنة في ذلك ضعفت البدعة "وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة"(٢).

قال عبد الله بن المبارك: "إذا خفيت السنة ظهرت الأهواء..."(٣).

سابعًا: العدل معهم وعدم ظلمهم، فإن الظلم حرام مطلقًا، والعدل واجب مطلقًا، وقد أخذ سلفنا الصالح بمبدأ العدل مع طوائف البدع وغيرها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقًا، بل أهل السنة لكل طائفة

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص(٥٦ – ٥٧).

(٢) الفتاوى (٣/ ١٠٤).

(٣) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٤٨).

من هؤلاء - يعني من طوائف البدع - خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا ما يعترفون به. ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا"[١].

وقد أقروا في كتبهم بأمانة أهل السنة ووفائهم وصدقهم وكذب الرافضة وقلة وفائهم[٢]، وإقرار المخالف أشد وقعًا في النفس من تأييد الموافق، وقد قيل: الحق ما شهدت به الأعداء.

سابعًا: تشرع مناظرتهم عند الحاجة مناظرة تقطع دابرهم "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه"[٣] فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى يقول: "الذب عن السنة أفضل من الجهاد"[٤]، وقد ناظر ابن عباس الخوارج، فرجع منهم أربعة آلاف للسنة والجماعة[٥].

ثامنًا: لا يسوغ الدخول في مجادلة المبتدعة ومناظرتهم لمن لا علم عنده،

---

(١) منهاج السنة (٥/ ١٥٧ - ١٥٨).

(٢) أما شهادتهم لأهل السنة بهذه الأوصاف فاستمع إلى بعضها منقولة من أوثق كتبهم في أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٥٧) وما بعدها، وانظر اعترافهم بتثبت أهل السنة بالرواية، وإقرارهم بأنهم يقدمون ويؤخرون ويزيدون وينقصون فيما يرون في مسألة التقريب (١/ ٥٧- ٥٨).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٥٧).

(٤) الفتاوى (٤/ ١٣).

(٥) انظر: البداية والنهاية (٧/ ٣٠٧)، ومناظرة ابن عباس أخرجها عبد الرزاق في المصنف (١٨٦٧٨)، وأحمد (١/ ٣٤٢)، وأبو عبيد في الأموال (٤٤٤)، والحاكم (٢/ ١٥٠ - ١٥٢)، وأبونعيم في حلية الأولياء (١/ ٣١٨ - ٣٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١٠٣ - ١٠٤) وغيرهم.

ولا قدرة لديه على إقامة الحجة على المبتدع ورد ضلالاته، ودحض شبهاته.

فلا يجوز أن يتولى الرد عليهم ومناظرتهم إلا صاحب علم وبصيرة وحجة ومعرفة للحق بأدلته، وإدراك للباطل وكيفية الرد على شبهاته.

تاسعًا: **مشروعية الهجر الشرعي للبدعة والمبتدعة وهو نوعان:**

الأول: هجر البدعة.

والثاني: هجر المبتدع.

فالأول: داخل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ومنه قوله ﷺ: **"المهاجر من هجر ما نهى الله عنه"**، ومنه النصوص المستفيضة عن السلف في النهي عن الاستماع إليهم ومحاورتهم.

النوع الثاني: هجر المبتدع، وهو "بمنزلة التعزير"، والتعزير يكون لمن ظهر منه الابتداع، كالداع إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع.

قال شيخ الإسلام: "فأما إذا كانت البدعة ظاهرة – تعرف العامة أنها مخالفة للشريعة – كبدعة الخوارج، والروافض والقدرية والجهمية فهذه على السلطان إنكارها لأن علمها عام. كما عليه الإنكار على من يستحل الفواحش، والخمر، وترك الصلاة، ونحو ذلك"[1].

---

(١) الفتاوى (٣/ ٢٣٩).

كما يهجر حتى ينتهي من إظهار بدعته، ولا يؤخذ عنه العلم، ولا يستشهد ولا يقدم في الصلاة وتترك عيادته ولا تشيع جنازته، بل لا يكلم ولا يجالس ولا يسلم عليه، إلى آخر أنواع الهجر(١).

ولابد من مراعاة المصلحة الشرعية للهجر، وهذا يختلف باختلاف الهاجرين، في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، ودرء ضرره عن جلسائه، ولذلك فإنه ينظر في الهجر إلى المنافع والمفاسد، والقدرة وعدم القدرة، وهذا يختلف من بلد إلى آخر، ومن مبتدع إلى آخر.

عاشرًا: مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد البيان، وقد أمر الله عزَّ وجلَّ نبيه ﷺ أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام بعد ظهور البيان(٢)، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

وبذلك جاءت السنة فقد ثبت أن الرسول ﷺ أراد مباهلة **نصارى نجران**(٣).

(١) انظر للتفصيل: عموم كتب الاعتقاد، وراجع على سبيل الخصوص ما جاء في الإبانة لابن بطة من نصوص عن الأئمة في هجر أهل البدع، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، وانظر هجر المبتدع للشيخ بكر أبو زيد.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٧).

(٣) انظر: صحيح البخاري (مع الفتح)، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران (٨/ ٩٣ – ٩٤)، المسند (١/ ٤١٤)، سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٢ –٢٢٣)، طبقات ابن سعد (١/ ٣٥٧)، زاد المعاد (٣/ ٦٢٩).

إذن نخلص إلى القول بمشروعية مباهلة المخالف (من يهودي، أو نصراني، أو مبتدع، أو غيرهم) وشرطها:

أ – إقامة الحجة على المخالف قبل مباهلته.

ب – إصراره على باطله بعدما تبين له الحق.

جـ - أن يكون خلافه في حق ثابت لا مرية فيه، وليس له في خلافه تأويل سائغ(١).

وصفتها كما ذكر سبحانه في آية آل عمران.

* * *

---

(١) وقد استنبط ذلك بعض المفسرين من آيات آل عمران نفسها ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟... ﴾.

قال المهايمي: (الحق) أي الثابت الذي لا يقبل التأويل جاء (من ربك) الذي رباك بالاطلاع على الحقائق (فلا تكن من الممترين)...

وإذا ظهر لك الحق من ربك بالبيان التام (فمن حاجك) أي جادلك فيه (من بعد ما جاءك من العلم) القطعي ... فقل لم يبق بيننا وبينكم مناظرة ولكن نرفع عنادكم بطريق المباهلة. (انظر: تفسير القرآن للمهايمي (١/ ١١٣).

لمحة تعريف بمصادر الملل والنحل والفرق

بداية التصنيف:

بالنسبة للتأليف في الفرق وأهل البدع فقد كان من منهج السلف هجر البدعة والمبتدع، بل عدم حكاية بدعتهم أحيانًا ولو للرد عليهم، لئلا يكون ذلك سببًا لانتشارها، وذلك حين تكون البدعة غير ظاهرة، والمبتدع مقموعا مستخفيًا ببدعته.

وقد ذكر الإمام مسلم في مقدمة صحيحه أن "الإعراض عن القول المطرح أحرى لإماتته وإهمال ذكر قائله وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهًا للجهال عليه"[1].

ولهذا قال بعض السلف: "ليست السنة عندنا أن ترد على أهل الأهواء، ولكن السنة أن لا تكلم أحدًا منهم"[2].

لكن حين تنتشر البدعة في بلد أو زمن ويغتر الناس بها، فلابد من الرد، ويشرع أن يكون الرد وفق المنهج المعروف عن السلف[3].

ولقد نهض الأئمة كأحمد، والبخاري، والدارمي، وابن قتيبة؛ فردوا

(١) صحيح مسلم ص(٢٩).

(٢) الإنابة (٢/ ٤٧١).

(٣) انظر: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع (٢/ ٥٨٧).

على أهل البدع وفندوا حججهم كما رد الأئمة كابن تيمية، وابن القيم، والقرطبي، وغيرهم على اليهود والنصارى وعلى شبهاتهم[1].

هذا ولا يجوز الاطلاع على كتب المخالفين من المغضوب عليهم ولا الضالين وأهل البدع الزائغين لعامة الناس، إلا لمن كان قادرًا على معرفة فسادها والرد على شبهاتها.

بداية دراسة الأديان أو الملل والنحل:

القول الأول: يذهب بعض الباحثين العرب إلى أن كتاب الآراء والديانات للنوبختي (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) هو أول كتاب ظهر في الملل[2].

القول الثاني: كما يذهب بعض الباحثين الأوربيين إلى أن بداية دراسة الأديان عند المسلمين ترجع إلى القرن الرابع وهي بداية متأخرة في نظره[3].

لكن تذكر المصادر العربية كما ينقل الأستاذ الأعظمي أن البداية قبل هذه الفترة بزمن طويل، فقد ذكر ابن النديم أن يحيي بن خالد البرمكي وزير الدولة العباسية بعث رجلاً إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم وأن يكتب له أديانهم. وهذا يعني أن البداية كانت في أواخر القرن الثاني. ويذكر ابن النديم أن هذا الكتاب وصل إليه وأن فيه ذكر أحوال المعابد وأسماء الأصنام وطريقة

---

(١) وانظر للتفصيل: الرد على المخالف من أصول الإسلام للشيخ بكر أبو زيد، وانظر: ما سبق في أحكام التعامل مع أهل البدع.

(٢) أحمد شلبي، اليهودية ص(٣١)، عبد الحليم عويس، ابن حزم ص(٣١٥).

(٣) وهو آدم ... في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ص(٢٤٦).

عبادة الهندوس لآلهتهم[1].

وهذا يعني البداية المبكرة للعناية بهذا الشأن ودراسته.

كما أشار ابن النديم (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ)، إلى أن أحمد ابن عبد الله بن سلام مولى الخليفة هارون الرشيد ترجم التوراة والإنجيل.

وللجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ كتاب الرد على النصارى.

وهؤلاء كلهم متقدمون على عصر ابن النديم.

قلت: بل الأمر قبل ذلك كله، فإن كتاب الله سبحانه بين عقائد اليهود والنصارى والذين أشركوا وغيرهم، وفسر المسلمون كتاب الله سبحانه، وفي السنة كذلك وقد شرح الأئمة أحاديث رسول الله ﷺ بما في ذلك ما يتعلق بالأديان.

وثمة نصوص عن الأئمة تتعلق بالملل والنحل والفرق ومن أقدمها النص المأثور عن يوسف بن أسباط[2]، والنص الآخر المأثور عن ابن المبارك، وفيهما ذكر لنحل وفرق كثيرة[3]، وكلاهما من أئمة القرن الثاني.

ثم نجد كتب التاريخ تحدثت عن أنبياء بني إسرائيل وحياتهم وملوكهم وعن اليهودية والنصرانية وغيرهما، كما نرى ذلك عند الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ)، والذي يسوق رواياته بالسند عن متقدمين.

---

(١) انظر: اليهودية والمسيحية للأعظمي ص(٢٤ – ٢٥).

(٢) انظره بتمامه في: الإبانة (١/ ٣٧٦ – ٣٧٩).

(٣) انظره بتمامه في: المصدر السابق (١/ ٣٧٩ – ٣٨٦).

طريقة التصنيف:

يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأئمة سلكوا في التصنيف في الفِرق ومذاهب أهل البدع إحدى الطريقتين التاليتين:

الأولى: الترتيب التاريخي:

رتبوهم على زمان حدوثهم وبمقتضى تاريخ بدايتهم ونشأتهم.

فبدأوا بالخوارج باعتبار أنها أول فرقة خرجت عن الجماعة[1].

الطريقة الثانية: الترتيب الموضوعي:

وهو أن يرتبوهم على حسب خفة بدعتهم وغلظها، فيبدأون بالبدعة الصغرى ويختمون بالكبرى، حيث يبدأون - مثلاً - بالمرجئة ويختمون بالجهمية كما فعله كثير من أصحاب أحمد ﷺ، كعبد الله ابنه ونحوه، كالخلال، وأبي عبد الله بن بطة، وأمثالهما، كأبي الفرج المقدسي.

أما التصنيف في الأديان فللعلماء في ترتيبها طريقان - كما يذكر بعض الباحثين -:

الأول: التصنيف في الأديان من حيث الوضع، فقالوا الأديان على

(١) ثم حدث بعدهم بدع التشيع، وفي أواخر عصر الصحابة حدثت بدعة المرجئة والقدرية، وفي أول عصر التابعين حدثت بدعة الجهمية المعطلة، والمشبهة الممثلة، ومن هذه الأصول البدعية تشعبت فرق وطوائف.

انظر في نشأة الفرق: ابن تيمية: الفتاوى (٢٠/ ٣٠٠ - ٣٠١)، منهاج السنة (٦/ ٢٣٠ - ٢٣٢)، ابن القيم: الصواعق المرسلة (١/ ١٤٧ - ١٥١)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٦).

قسمين: قسم سماوي؛ كاليهودية والنصرانية، وقسم غير سماوي؛ كالهندوسية، والبوذية.

الثاني:التصنيف من حيث المحلية والعالمية فجعلوا الإسلام والنصرانية والبوذية أديانًا عالمية، بينما جعلوا اليهودية والهندوسية وبعض الأديان الشرقية أديانًا قومية أو أديانًا شعبية(١).

تعريف مجمل بمصادر الملل والنحل والمقالات(٢):

ويمكن عرض هذا التعريف وفق خمسة مباحث:

الأول: المصادر العامة.

الثاني: مصادر المعتزلة(٣).

الثالث: مصادر الشيعة (الجعفرية).

الرابع: مصادر الإسماعيلية (الباطنية).

الخامس: مصادر الزيدية.

* * *

---

(١) الأعظمي: اليهودية والمسيحية ص(١٨).

(٢) المقصود بمصادر هذه الفرق ما كتبه أحد أتباع هذه الفرق عن الملل والنحل والفرق الإسلامية لا مصادر الفرقة ذاتها فهذا له بحث آخر يتم عند دراسة كل فرقة أو ملة أو نحلة.

(٣) أما المصادر السنية الخالصة فقد نوهنا عنها في المقدمة تقدمة لها، مع الإشارة إلى فقر المكتبة الإسلامية من المطبوع منها.

المصادر العامة[1]

سارت هذه المصادر في دراسة الملل والفرق على إحدى الطريقتين التاليتين:

الأولى:

تتمثل في كتب تعرض للملل والفرق بدون الانتصار لمذهب على آخر، أو بعبارة أخرى عرض بدون نقد مثل: "مقالات الإسلاميين" للأشعري، و"الملل والنحل" للشهرستاني.

الثانية:

كتب تعرض وتنقد وترد مثل "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم، و"الفرق بين الفرق" للبغدادي، و"عقائد الثلاث والسبعين فرقة" لأبي محمد اليمنى، وإليك لمحة عن أهم هذه المصادر العامة:

١- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، للإمام أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٣٠هـ)، وهو أقدم كتاب وصل إلينا من المصنفات المفصلة بعض التفصيل في هذا الموضوع[2].

وقد كشف الأشعري في مقدمة كتابه "المقالات" عن الباعث له على

---

(١) أعني بالمصادر العامة: المصنفات في الملل والنحل والفرق ممَّا كتبه علماء وباحثون مسلمون من غير أصحاب البدع المشهورة. (أي لم يعرفوا باعتزال، أو رفض، أو باطنية).

(٢) محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته لكتاب الأشعري ص(٤).

الكتابة في هذا الموضوع وقدم من خلال ذلك تقويمًا عامًا للمصنفات الموجودة في عصره، وقد قسمها إلى أربع فئات هي:

* **الفئة الأولى**: جمعت بين الإيجاز المخل، أو القصور في ذكر المقالات، والغلط في حكاية أقوال المخالفين.

* **والفئة الثانية**: مصنفات عمدتها الكذب بغية التشنيع على من يخالفها.

* **والفئة الثالثة**: مؤلفات لم يتقص أصحابها أقوال أهل المقالات، ولم يستكملوا حكاية مذاهبهم.

* **والفئة الرابعة**: تتجلى في مؤلفاتهم، اعتبار لوازم الأقوال أقوالاً لأصحابها، وجعل لازم المذهب مذهبًا، ولازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يلتزمه صاحبه.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية طريقة الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين، فقال: إنه ينقل مقالات الناس نقلاً مجردًا[١]. أي دون انتصار لقول أو طائفة وهذا ما نراه في كتابه المطبوع.

ولكنه انتقده في نقله لمذهب أهل السنة وقال بأنه "ذكر فيه مذهب أهل الحديث والسنة بحسب ما فهمه عنهم وليس في جنسه أقرب إليهم منه، ومع هذا نفس القول الذي جاء به الكتاب والسنة، وقال به الصحابة والتابعون لهم بإحسان في القرآن والرؤية والصفات، والقدر وغير ذلك من مسائل أصول الدين ليس في كتابه، وقد استقصى ما عرفه من كلام المتكلمين.

(١) منهاج السنة (٥/ ٢٦٨).

ومع ذلك فقد أثنى شيخ الإسلام على كتاب المقالات وقال: بأنه أجمع الكتب التي رأيتها في مقالات الناس المختلفين في أصول الدين.. وقد ذكر فيه من المقالات وتفاصيلها ما لم يذكره غيره[١]. وقال في موضع آخر "كتاب المقالات للأشعري": أجمع هذه الكتب وأبسطها وفيه من الأقوال وتحريرها ما لم يوجد في غيرها.

ثم يشير ابن تيمية إلى الميزات التي يحظى بها كتاب المقالات للأشعري في حكاية مقالات الناس، فيقول:

١- أنه ذكر في المقالات مقالة المعتزلة مفصلة وبين فضائحهم وتناقض أقوالهم وفسادها ما لم يبينه غيره؛ لأنه كان منهم، وكان قد درس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة، وكان ذكيًّا ثم رجع عنهم وصنف في الرد عليهم.

٢- يذكر أيضًا مقالات الخوارج والروافض، لكن نقله لها من كتب أرباب المقالات لا عن مباشرة منه للقائلين، ولا عن خبرة بكتبهم، ولكن فيها تفصيل عظيم.

٣- يذكر مقالة ابن كلاب عن خبرة بها ونظر في كتبه.

٤ – يذكر اختلاف الناس في القرآن من عدة كتب.

٥- يذكر مقالة أهل السنة والحديث ذكرًا مجملاً تلقى أكثره عن زكريا بن يحيى الساجي[٢]، وبعضه عمن أخذ عنه من حنبلية بغداد ونحوهم، وأين العلم

(١) منهاج السنة (٦/ ٣٠٣).

(٢) أحد فقهاء الشافعية، وهو من الحفاظ الثقات. توفي سنة (٣٠٧هـ).

ترجمته في: طبقات الشافعية (٣/ ٢٩٩ – ٣٠١).

المفصل من العلم المجمل"[1].

٢- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع:

للإمام الفقيه المحدث الثقة أبي الحسين محمد بن أحمد ابن عبد الرحمن الملطي، المتوفى سنة (٣٧٧هـ).

قدم له وعلق عليه محمد زاهد الكوثري[2]، ثم حققه أخيرًا في الجامعة الإسلامية صالح بن عبد الرحمن الدخيل، وهذا الكتاب يعد من أقدم الكتب المصنفة في التعريف بالفرق، وقد جاء على فرق لم تذكر في كثير من كتب الملل والنحل.

وانفرد ببعض الآراء كقوله عن سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم بأنهم "عندما بايع الحسن بن علي.. معاوية وسلم إليه الأمر. اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس – وكانوا من أصحاب علي – ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة" مع أن المشهور أن سبب تسميتهم بالمعتزلة اعتزالهم لمجلس الحسن البصري أو قولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

وأشد من ذلك اعتماده على بعض الأحاديث والآثار التي لا تثبت، وقد عقد – مثلاً – بابًا بعنوان "باب لمن أراد أن يرى النبي ﷺ" اعتمد فيه على أثر عن الزهري لا يصح فهو منكر في متنه وفي سنده كذاب، ومجهول، ومثل هذه

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٢٧٧ – ٢٧٨).

(٢) انظر: الكوثري، كلمة عن التنبيه والرد، مقدمة الكتاب.

الأفكار من لوثات غلاة الصوفية.

وقد أشار المحقق إلى عدم دقته – أحيانًا – في نسبة الفرق إلى زعمائها كنسبه الصفرية إلى المهلب بن صفرة، والأباضية إلى أباض بن عمرو[1]، قلت ومن ذلك أيضًا إطلاقه اسم الرافضة على جميع فرق الشيعة، ولم يستثن أكثر فرق الزيدية، والشيعة الأولى[2].

وقد رتب المؤلف كتابه على أربعة أجزاء، لكن لم يوجد منها سوى الجزء الثالث، وموضوعه الفرق، أمَّا الجزء الأول والثاني فموضوعها الأديان، كاليهودية، والنصرانية، كما يتبين ذلك من إحالات المؤلف فهما مفقودان، والجزء الرابع والأخير وفيه الحجاج على الجميع كما نص المؤلف هو مفقود أيضًا.

٣- الفرق بين الفرق:

تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني المتوفى سنة ٤٢٩هـ.

قال الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (محقق الكتاب) في مقدمة التحقيق: "ومما لا ريب فيه أن كتاب الفرق بين الفرق من خير ما أُلّف في هذا الموضوع: حسن ضبط، واستيعاب بحث، وإتقان تبويب، ودقة عرض"[3].

---

(١) صالح الدخيل، مقدمة التحقيق.

(٢) وقد أشرت إلى ذلك في رسالتي "رسالة التقريب بين أهل السنة والشيعة" (١/ ١٤٥).

(٣) مقدمة التحقيق ص(٨).

الفصل في الملل والأهواء والنحل

للإمام أبي محمد علي بن أحمد المشهور بابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ.

وهو من أفضل مصادر الملل والنحل في الرد على معتقدات الضالين من أصحاب الملل ونقض شبهاتهم وبيان تناقضاتهم، وبحجج قوية، وبراهين جلية بأسلوب ابن حزم الذي قيل فيه سيف الحجاج ولسان ابن حزم قرينان، لكن الأول في الظلم غالبًا والثاني للانتصار للحق، ولكنهما قرينان بجامع القوة في كل.

وقد وصف رحمه الله حال غالب المصنفات في الملل في عصره مما اطلع عليه وما حاول إضافته في مصنفه فقال رحمه الله:

أما بعد: فإن كثيرًا من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم، ومقالاتهم كتبًا كثيرة جدًّا، فبعض أطال وأسهب وأكثر وهجر واستعمل الأغاليط والشغب فكان ذلك شاغلاً عن الفهم قاطعًا دون العلم، وبعض حذف وقصر وقلل واختصر وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة. وظالمًا لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه، وباخسًا حق من قرأ كتابه؛ إذ لم يغنه عن غيره. وكلهم - إلا تحلة القسم - عقد كلامه تعقيدًا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم، وحلق على المعاني من بعد حتى صار ينسي آخر كلامه أوله، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم، فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله.

* قال أبو محمد ﷺ فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عزَّ وجلَّ في جمعه، وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلاً مخرجها إلى ما أخرجت له وألا يصح منه إلا ما صححت البراهين المذكورة فقط؛ إذ ليس الحق إلا ذلك، وبالغنا في بيان اللفظ وترك التعقيد، راجين من الله تعالى على ذلك الأجر الجزيل وهو تعالى ولي من تولاه ومعطي من استعطاه لا إله إلا هو وحسبنا الله ونعم الوكيل"[1].

الملل والنحل:

لأبي الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر المشهور بالشهرستاني، المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

والشهرستاني من أخبر وأعلم المتكلمين بالمقالات والاختلافات[2]، وكتابه "الملل والنحل" "أجمع من أكثر الكتب المصنفة في المقالات وأجود نقلاً"[3]، ولذلك قال السبكي: "كتاب الملل والنحل للشهرستاني عندي خير كتاب صنف في هذا الباب"[4].

وأمَّا طريقته في كتابه الملل، فإنه يذكر مقالات الناس ذكرًا مجردًا دون

---

(١) الفصل، مقدمة المؤلف.

(٢) منهاج السنة (٥/ ٢٩٩).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٣٠٤).

(٤) طبقات الشافعية (٦/ ١٢٨).

انتصار لبعض الأقوال[١].

وهذا ما صرح به الشهرستاني في مقدمة كتابه، فقال: "وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأبين حقه من باطله، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل"[٢].

أمَّا موارده في كتابه فإن أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة[٣].

ويذكر ابن تيمية تقويمًا دقيقًا لحكاية الشهرستاني للمقالات نلخصه فيما يلي:

أولاً: لما كان الشهرستاني خبيرًا بقول الأشعرية وقول ابن سينا ونحوه من الفلاسفة كان أجود ما نقله قول هاتين الطائفتين[٤]. يعني الفلاسفة والأشاعرة.

ثانيًا: لا معرفة للشهرستاني بما قاله الصحابة والتابعون وأئمة السنة والحديث، فلا هو ولا أمثاله يعرفون أقوالهم، بل ولا سمعوها على وجهها بنقل أهل العلم لها بالأسانيد المعروفة، وإنما سمعوا جملاً تشتمل على حق وباطل، ولهذا إذا اعتبرت مقالاتهم الموجودة في مصنفاتهم الثابتة بالنقل عنهم وجد من ذلك ما يخالف تلك النقول عنهم. وهذا من جنس نقل التواريخ والسير ونحو ذلك من

---

(١) منهاج السنة (٥/ ٢٦٨).

(٢) الملل والنحل ص(١٦).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٣٠٧).

(٤) المصدر السابق (٦/ ٣٠٤).

المرسلات والمقاطع وغيرهما مما فيه صحيح وضعيف"[1].

ثالثًا: للشهرستاني ميل إلى الشيعة فهو "يميل كثيرًا إلى أشياء من أمورهم، بل يذكر أحيانًا أشياء من كلام الإسماعيلية الباطنية منهم ويوجهه، ولهذا اتهمه بعض الناس بأنه من الإسماعيلية، وإن لم يكن الأمر كذلك، وقد ذكر من اتهمه شواهد من كلامه وسيرته. وقد يُقال هو مع الشيعة بوجه، ومع أصحاب الأشعري بوجه.. وبالجملة فالشهرستاني يظهر الميل إلى الشيعة إما بباطنه أو مداهنة لهم"[2].

ويشير ابن تيمية إلى سبب تأليف الشهرستاني لكتابه "الملل والنحل" فيذكر أنه صنفه لرئيس من رؤساء الشيعة كانت له ولاية ديوانية وكان للشهرستاني مقصود في استعطافه له، وهذا ما يرجح أن ميله للشيعة من باب المداهنة[3].

ولكن الشهرستاني في المقدمة يذكر سببًا عامًا للتأليف فيقول: فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل وأهل

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٣٠٤ - ٣٠٥).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٣٠٥ - ٣٠٦).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٣٠٦). وينظر للتفصيل: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، لمحمد بن ناصر السحيباني، وقد عرض بتفصيل أدلة الإدانة، وأدلة البراءة، وأدلة الإدانة حملها كتابه في التفسير، وأدلة البراءة حمل غالبها كتابه "الملل والنحل"، واحتار الباحث في الحكم النهائي، ولكن يبقى أمر على غاية الأهمية في الحكم وهو التنبيه إلى المسلك الشائع لدى الرافضة الباطنية في تأليف مصنفات ونسبتها للمشاهير لتكثير سوادهم والتغرير بأتباعهم والتبشير بمذهبهم كحالهم في نسبة كثير من أقوالهم إلى أئمة أهل البيت... ولقد وضعوا كتبًا كثيرة على الأئمة، ومشاهير الأمة كالطبري، وابن قتيبة، والغزالي، وغيرهم، ولا يبعد أن منهم الشهرستاني، والأمر يحتاج إلى دراسة نقدية فاحصة للتفسير المنسوب للشهرستاني والذي حمل أدلة الاتهام.

الأهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما يدين به المتدينون وانتحله المنتحلون عبرة لمن استبصر واستبصارًا لمن اعتبر.

ولا يشير إلى أنه صنفه لرئيس من رؤساء الشيعة كما ذكر شيخ الإسلام، لكن في كتابه "**المصارعة**" صرح بذلك(١).

ثم إنني بعد كتابة هذا الكلام وقفت على النسخة المحققة من كتاب الملل والنحل فوجدت أن المحقق (محمد بن فتح الله بدران) يذكر أن بعض النسخ الخطية تفردت بمقدمة أخرى، وفي هذه المقدمة كما نشرها بدران التصريح بالإهداء لأمير آخر غير ما ذكر في المصارعة(٢).

هذا وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية والتركية والألمانية وطبع في أوربا عدة طبعات وفي فارس والهند وتركيا، ومن أشهر طبعاته بالعربية ط. الشيخ محمد فتح الله بدران، وطبعة كيورتن، وطبعة محمد سيد كيلاني(٣).

---

(١) فقال بعد اطراء ومديح للأمير الشيعي (علي بن جعفر الموسوي والذي كان أميرًا لخراسان): "انتدب أصغر خدمه محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، لعرض بضاعته المزجاة على سوق كرمه، فخدمه بكتاب صنفه في الملل والنحل، على تردد القلب بين الوجل والخجل، فأنعم بالقبول، وأنعم النظر فيه". مصارعة الفلاسفة ص(١٤).

وانظر: مقالات في المذاهب والفرق، عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ص(٣٦ – ٥٣)، وفيه دراسة موجزة عن الشهرستاني وكتابه، ووقفة عند مسألة رميه بالتشيع، وانظر: منهج الشهرستاني ص(٢٠٥ – ٢٠٦).

(٢) انظر: مقدمة بدران – الهامش.

(٣) وللتوسع ينظر: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل للسحيباني.

هذه جملة من المصادر العامة في الملل والنحل ولقد تتابع التأليف في هذا الباب وأكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها فيما يلي:

* **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الهالكين**: لأبي المظفر الاسفرائيني، المتوفى سنة (٤٧١هـ)، وقد سار على طريقة البغدادي.

* **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**: للرازي، المتوفى سنة (٦٠٢)، شرح فيه - كما يقول - أحوال مذاهب المسلمين والمشركين ورتبه على عشرة أبواب، وله أيضًا محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، واختصره ابن خلدون باسم (**لباب المحصل**).

* **الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة**: عثمان بن عبد الله بن الحسن الحنفي (من القرن السابع).

* **البرهان في عقائد أهل الأديان**: تأليف: عباس منصور السكسكي الحنبلي، المتوفى سنة (٦٨٣هـ).

* **ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة**: لليافعي (المتوفى سنة ٧٦٨هـ)، وقد اعتمد على كتاب السكسكي كثيرًا كما يقول المحقق[1].

* وقد كتب بعض المعاصرين في الفرق، ومن ذلك:

* **خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان**: تأليف محمد صديق خان، المتوفى سنة (١٣٠٧هـ).

* **تاريخ المذاهب الإسلامية**: محمد أبو زهرة.

* **الديانات والعقائد في مختلف العصور**: أحمد عبد الغفور عطار.

---

(١) موسى الدرويش في مقدمته ص(١٣).

* **معجم ديانات وأساطير العالم:** إمام عبد الفتاح إمام.
* **الأديان في القرآن:** محمود الشريف.
* **موجز الأديان في القرآن:** عبد الكريم زيدان.
* **أهم الفرق الإسلامية:** محمد الطاهر النيفر.
* **الملل والنحل:** رشيد الياسمي.
* **تاريخ الفرق الإسلامية:** علي مصطفى الغرابي.
* **مذاهب الإسلاميين:** عبد الرحمن بدوي.
* **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة:** د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ناصر القفاري.
* **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.**
* **الفرق الإسلامية:** محمود البشبيشي.
* **تاريخ الفرق المعاصرة ومذاهبها:** للدسوقي الملاح وآخرين.
* **الأديان:** محمد الهاشمي.
* **في العقائد والأديان:** محمد جابر عبد العال.
* **دراسات في الفرق:** صابر طعيمة.
* **تاريخ الفرق الإسلامية:** محمود محمد مزروعة.

هذا والدراسة الوصفية النقدية لهذه المصنفات لا مجال لها هنا.

أمّا الكتب التي تتحدث عن طائفة بعينها فهي كثيرة وليست هي مجال الحديث هنا، وكذا مصادر التلقي عند كل فرقة.

ثانيًا: مصادر المعتزلة[(١)]

يذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المعتزلة هم "أكثر الطوائف وأولها تصنيفًا في هذا الباب"[(٢)]، ومما يؤيد هذا اعتماد كثير من أئمة هذا الفن على كتبهم، فالأشعري وهو من أقدم من وصلت إلينا آثاره في هذا التخصص كان معتزليًّا قرابة أربعين سنة، وقد كتب ثلاثة مصنفات في المقالات والملل كما مرّ، والشهرستاني على مكانته وعلو مقامه في معرفة الفرق والمقالات وشهرة كتابه "الملل والنحل" يعول كثيرًا على مصادر المعتزلة حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية بأن "أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة"[(٣)].

ومن أشهر مصنفي المقالات من شيوخ المعتزلة أبو عيسى الوراق محمد ابن هارون (متوفى سنة ٢٤١هـ)، صاحب المقالات في الإمامة، ويشير شيخ

---

(١) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، سموا بهذا الاسم لاعتزالهم الجماعة في مسألة مرتكب الكبيرة، أو لاعتزال مجلس الحسن البصري حين شذ واصل برأيه في هذه المسألة فقال الحسن: اعتزلنا واصل، وقد استكمل المذهب أصوله البدعية على يد أبي الهذيل العلاف، وقام على أصول خمسة: التوحيد (وضمنوه نفي الصفات)، والعدل (وأرادوا به نفي القدر)، والمنزلة بين المنزلتين (وهو قولهم بأن مرتكب الكبيرة لا مسلم ولا كافر)، وإنفاذ الوعيد (وهو حكمهم على صاحب الكبيرة بالخلود في النار)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وضمنوه القول بالخروج على ولاة الأمر إذا جاروا).
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥)، المنية والأمل ص(١٥، ١٢٢) شرح الطحاوية ص(٦١٩ – ٦٢٢)، الفرق بين الفرق ص(٢٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٣)، المعتزلة: زهدي جار الله.

(٢) الفتاوى)٨/ ١١٥).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٣٠٧).

الإسلام إلى أنه يذكر - فيما يكتبه في الملل والنحل - الأقوال ذكرًا مجردًا دون انتصار لقول على آخر مثل طريقة الأشعري، والشهرستاني[1]. ومن مصنفيهم: أبو القاسم البلخي (توفي سنة ٣١٩هـ)، وقد وصلت إلينا جملة من أقواله في الفرق والمذاهب بواسطة الحور العين[2] لنشوان (المتوفى سنة ٥٧٣هـ)، الذي عول عليه كثيرًا في حديثه عن فرق الشيعة، وكذا على سلفه الوراق[3]، لكن لم يصلنا من مصادر المعتزلة في الفرق - فيما أعلم - شيء إلا من خلال المصادر الناقلة، لكن في بعض كتب المعتزلة المصنفة في المذهب والرد على خصومه مادة تتعلق بالمقالات والفرق، وإن كانت لم تؤلف ابتداء في الفرق كما في الكتاب الكبير المغني للقاضي عبد الجبار وهو يعتمد كثيرًا في حديثه عن الفرق على أبي القاسم البلخي أيضًا حيث يصدر كلامه عنها بقوله "حكى شيخنا أبو القاسم البلخي..."[4]، كما أنه يمكن أن يضاف إلى ذلك مصنفات الزيدية لأن الزيدية كما هو معلوم معتزلة في باب الاعتقاد وتزيد الزيدية عليهم باعتقادها الشيعي في الإمامة والصحابة، ولذلك قال الشهرستاني عن الزيدية: "أمَّا في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة"[5].

* * *

(١) انظر: منهاج السنة (٥/ ٢٦٨).
(٢) انظر: الحور العين ص(١١١، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٣، ١٩٥، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١).
(٣) انظر: المصدر السابق ص(١٧٠)، وقد صحف فيها اسم أبي عيسى الوراق إلى أبي عيسى الرزاق، وهو خطأ ظاهر.
(٤) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٢٠/ ١٧٦، ١٨٥).
(٥) الملل والنحل (١/ ١٦٢).

مصادر الإثني عشرية (الجعفرية)

ومن أقدم كتب هذه الطائفة التي وصلت إلينا كتابان:

١- **المقالات والفرق**: سعد بن عبد الله القمي الأشعري، المتوفى سنة (٣٠١هـ)[١].

٢- **فرق الشيعة**: للحسن بن موسى النوبختي، المتوفى سنة (٣١٠هـ)[٢].

قلت: ومن يتصفح هذين الكتابين يجد أن أحدهما صورة للآخر؛ إذ يتفقان حتى في الألفاظ نفسها مما يجزم القارئ أن أ حدهما منقول عن الآخر، لكن شيخ الإسلام أشار إلى كتاب للنوبختي اسمه: الآراء والديانات[٣] ووصفه بأنه كتاب كبير، ومن قبل ذكره ابن النديم وأشار إلى أنه لم يتمه[٤]، وقال عنه شيخهم النجاشي أنه "كتاب كبير حسن يحتوي على علوم كثيرة"[٥].

وأقول أيضًا: ممكن أن يضاف إلى مصادر الإثني عشرية في الفرق ما كتبه شيخهم المفيد (المتوفى سنة ٤١٣هـ) بعنوان "أوائل المقالات في المذاهب المختارات"، حيث ذكر مقالات الفرق ضمن ذكره لعقائد طائفته[٦].

٣- **بيان الأديان**: لمحمد بن عبيد بن علي (المتوفى سنة ٤٨٥هـ) طبع لأول مرة سنة ١٨٨٣م[٧].

---

(١) وقد طبع كتابه في طهران مرارًا مع تعليقات "مشكور".
(٢) وطبع كتابه لأول مرة في النجف سنة (١٣٧٩هـ مع مقدمة محمد صادق بحر العلوم.
(٣) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة (١/ ٧٢، ٢/ ١٠٤).
(٤) الفهرست ص(١٧٧).
(٥) رجال النجاشي ص(٥٠).
(٦) وقد طبع عدة مرات مع تعليقات لبعض شيوخهم وهما الزنجاني، والجرندابي.
(٧) موسوعة الفرق الإسلامية: محمد جواد شكور، ص(٣٣).

* مصادر الإسماعيلية(١):

وقد رأيت لهم في الفرق كتابين:

الأول: مسائل الإمامة: تأليف عبد الله الناشئ الأكبر، المتوفى سنة (٢٩٣هـ)، وهو مطبوع.

الثاني: الزينة(٢) للداعي الإسماعيلي: أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، المتوفى

(١) المنتسبون إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وسموه بالإسماعيلية نسبة إليه، كما يسمون بالسبعية لقولهم بسبعة أئمة وبالفاطميين لدعواهم الانتساب إلى فاطمة، وبالعيدين نسبة إلى أول أئمة الظهور عندهم عبيد الله المهدي، والباطنيين لزعمهم بأن لكل ظاهر وباطن، ولكل تنزيل تأويل، وألقابهم كثيرة حتى قيل بأن لهم لقبًا في كل مكان، ودعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان، لخص الغزالي أساس مذهبهم بقوله: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، ولهم مراتب مرحلية في نشر دعوتهم ذكر أصحاب المقالات بأنها تصل إلى ثمان مراحل، وتطورت أساليبهم في عصرنا حتى قال الكوثري بأن لهم جامعات في الهند لتخريج دعاة يبعثونهم إلى شتى البلدان للقيام بالدعوة وفق مراحل مدروسة، وقد اكتشف الباحثون الأوائل مراتب الدعوة عندهم حتى سموها بأسمائها الخاصة كالبغدادي، والغزالي والنويري وغيرهم، ثم كشفوا أسرارهم وهتكوا أستارهم من خلال اطلاعهم على أحوالهم والوقوف على بعض كتبهم السرية، فالبغدادي اطلع على كتاب لهم يسمى "السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأكبر" ورأى من خلاله أنهم دهرية زنادية يشترون بالتشيع، والحمادي اليماني (اندس) بينهم وتظاهر بأنه على مذهبهم وكشف حالهم في كتابه "كشف أسرار الباطنية"، وابن النديم يحكي أنه اطلع على كتاب لهم اسمه "البلاغات السبعة"، وقرأ البلاغ السابع فرأى فيه أمرًا عظيمًا من إباحة المحظورات والوضع على الشرائع وأصحابها، وقد فضحهم الغزالي في فضائح الباطنية وتوالت مصنفات الباحثين في كشف أستارهم،ومن أخر تلك المصنفات الإسماعيلية، لإحسان إلهي ظهير، الحركات الباطنية في الإسلام للخطيب، وغيرها.

(٢) وقد ذكره شيخ الإسلام بهذا الاسم في منهاج السنة (٢/ ١٠٥).

سنة (٣٢٢هـ)، وقد وقفت على نسخة خطية منه في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، وتم طبع جزء منه ضمن كتاب "**الغلو والفرق الغالية**" للسامرائي.

الزيدية(١):

ومن أشهر ما كتبوه في الفرق:

- "**المنية والأمل في شرح الملل والنحل**": لأحمد بن يحيى بن المرتضي الحسني، وهو من أئمة الزيدية، توفي سنة (٨٤٠هـ).

- وفي ضمن كتاب "**الحور العين**" للقاضي نشوان بن سعيد الحميري، أحد علماء الزيدية المشهورين (ت ٥٧٣هـ)، حديث عن الملل والنحل والفرق بل "أوسع ما تعرض له من الموضوعات في هذا الكتاب بحث المذاهب والفرق والنحل"(٢).

---

(١) **الزيدية**: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سموا بالزيدية نسبة إليه، وهم أقرب فرق الشيعة لأهل السنة باستثناء طائفة الجارودية التي سارت في طريق الروافض، والزيدية عمومًا يوافقون المعتزلة في العقائد، وزادوا عليهم بما يقولون في "الإمامة"، و"الصحابة" وهم في ذلك فرق ثلاث: جارودية، وسليمانية، وصالحية، فالجارودية أقرب للروافض، والصالحية هم الأقرب لأهل السنة. انظر: تفصيل مذهبهم: يحي ابن حمزة، الرسالة الوازعة ص(٢٨)، مقالات الإسلاميين: (١/ ١٣٦)، الملل والنحل (١/ ١٦٢)، وراجع ما كتبته عن الزيدية في "مسألة التقريب" (١/ ١٥٩).

(٢) الكوثري: مقدمة الحور العين ص(٦).

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة، تحقيق رضا بن نعسان، دار الراية، ط. الأولى ١٤٠٩هـ.

* الإبانة في أصول الديانة: أبو الحسن الأشعري، تحقيق فوقية حسين، دار الأنصار القاهرة، ط. الأولى ١٣٩٧هـ.

* أحجار على رقعة الشطرنج: وليام غاي كار، دار النفائس، بيروت.

* أحكام أهل الذمة: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق صبحي الصالحي، دار العلم للملايين.

* الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: الملا علي القاري، تحقيق محمد الصباغ، مؤسسة الرسالة ١٣٩١هـ.

* أصول السنة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بابن أبي زمنين، تحقيق عبد الله البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية.

* أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ط. الثالثة ١٣٨٨هـ.

* أصول مذهب الشيعة: د. ناصر بن عبد الله القفاري، ط. الأول ١٤١٤هـ.

* الاعتصام: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار المعرفة، بيروت.

* **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة الحلبي ١٣٨١هـ.

* **بحار الأنوار**: محمد باقر المجلسي، إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثالثة ١٤٠٣هـ.

* **تاريخ بغداد**: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

* **التبصير في الدين**: أبو المظفر الإسفرائيني، تحقيق زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، ط. الأولى ١٣٥٩هـ.

* **تذكرة الحفاظ**: أبو عبد الله محمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* **التعريفات**: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

* **تفسير ابن كثير**: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مطبعة الفجالة بالقاهرة، ط.الأولى ١٣٨٤هـ.

* **تفسير الطبري**: محمد بن جرير الطبري، مطبعة الحلبي، ط. الثالثة ١٣٨٨هـ.

* **تفسير القاسمي**: دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨هـ.

* **تفسير القرطبي**: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي – مصر، ١٣٨٧هـ.

* **التفسير القيم**: للإمام ابن القيم، جمعة محمد أويس الندوي، تحقيق محمد الفقي، المركز الدولي للتراث، بيروت.

* **تفسير المنار**: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

* **تهذيب الأحكام**: محمد بن حسن الطوسي، تحقيق حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط. الثالثة ١٣٩٠هـ.

* **حلية الأولياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مطبعة السعادة – مصر ١٣٥١هـ.

* **الحور العين**: أبو سعيد نشوان الحميري، تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة ١٩٤٨م.

* **درء تعارض العقل والنقل**: لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام ١٣٩٩هـ.

* **الديانات والعقائد في مختلف العصور**: أحمد عبد الغفور عطار.

* **رجال الكشي**: محمد بن الحسن الطوسي والأصل: محمد بن عمر الكشي، تصحيح وتعليق: حسن المصطوفي، ط. طهران.

* **رجال النجاشي**: أحمد بن علي بن أحمد النجاشي، ط. إيران.

* **الرد على الأخنائي**: شيخ الإسلام ابن تيمية، الدار العلمية، الهند.

* **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**: شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* **زاد المعاد في هدي خير العباد**: لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ.

* **سنن الدارمي**: دار الدعوة.

* **سير أعلام النبلاء**: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية ١٤٠٢هـ.

* **شرح العقيدة الطحاوية**: علي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق بشير عيون، ط. الأولى ١٤٠٥هـ، دار البيان، دمشق.

* **صحيح البخاري**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة.

* **صحيح مسلم**: أبو الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري، دار الدعوة.

* **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**: لأبي عبد الله بن قيم الجوزية، تحقيق علي الدخيل الله، دار العاصمة ١٤١٢هـ.

* **طبقات الشافعية الكبرى**: عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، محمود الطناحي، مطبعة الحلبي، ط. الأولى ١٣٨٣هـ.

* **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

* **علل الشرائع**: ابن بابويه القمي، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ط. الثانية ١٣٨٥هـ.

* **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رئاسة إدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، السعودية.

* **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ السعودية، ط. الأولى ١٤٠٢هـ.

* **في ظلال القرآن**: سيد قطب، ط. السادسة.

* **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**: إسماعيل بن محمد العجلوني، تصحيح وتعليق: أحمد القلاش، مكتبة التراث الإسلامي.

* **الكنز المرصود في قواعد التلمود**: ترجمة يوسف نصر الله (الأصل لروهلنج)، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت.

* **لسان العرب**: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت.

* **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**: جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، مطابع دار العربية، بيروت.

* **مجموع فتاوى ومقالات عبد العزيز بن عبد الله بن باز**، إشراف محمد الشويعر، ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

* **مدارج السالكين**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق أحمد الرفاعي، عصام فارس، دار الجيل، بيروت.

* **مسألة التقريب بين السنة والشيعة**: د. ناصر بن عبد الله القفاري، دار طيبة، ط. الثالثة ١٤١٤هـ.

* **مسائل الإمامة**: عبد الله بن محمد الناشئ الأكبر، تحقيق يوسف فان، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٧١م.

* **مسند الإمام أحمد**: دار الدعوة.

* **المعجم الفلسفي**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة والهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩هـ.

* **المغني**: لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق عبد الله التركي، عبد المحسن الحلو، هجر القاهرة.

* **المفردات في غريب القرآن**: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

* **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط. الثانية ١٣٨٩هـ.

* **الملل والنحل**: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة الحلبي ١٣٨٧هـ.

* **منهاج السنة النبوية**: أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سَالم، ط. الأولى ١٤٠٦هـ مطابع جامعة الإمام.

* **موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع**: إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، ط. الأولى ١٤١٥هـ.

* **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية والقاهرة، ط. الأولى ١٣٨٢هـ.

* **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**: علي سامي النشار، دار المعارف، ط. السابعة ١٩٧٨م.

* **هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مطبوعات الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ.

* **وسائل الشيعة**: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق عبد الرحيم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الخامسة ١٤٠٣هـ.

* **اليهودية والمسيحية**: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط.الأولى ١٤٠٩هـ.

* * *

فهرس الموضوعات